السبك النصي في معاهدة الرسول ﷺ مع نصارى نجران

د٠ منى إبراهيم إبراهيم عزام (*)

تقديم :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد ...

فهذه الدراسة تنتمي إلى اتجاه حديث في الدراسات اللغوية يعرف بنحو النص في مقابل ما يعرف بنحو الجملة، ذلك الاتجاه الذي نما سريعا حتى كاد يستقل بنفسه عن علم لغة النص ويمثل اتجاها قائما برأسه، وفي إطار ذلك يختلف النصيون في حدهم للنص؛ فمنهم من نظر إلى الجانب التركيبي فرآه نسيجا من الكلمات والجمل، ومنهم من نظر إلى الجانب الدلالي فرآه تكوينا لغويا منطوقا من حدث اتصالي في إطار عملية اتصالية ، واستقراء هذا وذاك أدى إلى تكامل وجهات النظر فيما تُعرف به النصية من عدمها ، وذلك من خلال معايير النص السبعة، ويبرز من هذه المعايير معياران هما السبك والحبك يمثلان معا التماسك النصي فيعنى الأول بالوسائل التي تتحقق بها الاستمرارية في ظاهر النص، ويعنى الثاني بالتماسك الدلالي واستمرار المضمون نتيجة عمليات إدراكية يقتسمها عالم النص وشريك الاتصال؛ على أنهما متكاملان؛ فالنص وإن بدا مغلقا يتكون من كلمات وجمل لها بداية ونهاية، إلا أنه من الناحية الدلالية توالديّ ينبثق من أحداث نفسية واجتماعية ولغوية وتاريخية، لذا فإنهما قد يتداخلان، إلا أن هذه الدراسة– كما يتضح من عنوانها– توجه جلّ اهتمامها إلى تناول وسائل الترابط التي تمثل معيار السبك، فالنص مدين في نموه لهذه الوسائل .

(*) مدرس النحو والصرف بكلية التربية – جامعة المنصورة.

ويتمثل **هدف الدراسة** في :

الكشف عن خصائص النصية التي تميز النص عن متتالية من جمل غير مترابطة .

وتعود أسباب اختيار الموضوع إلى :

- اعتماد المجال التطبيقي للتحليل النصي- سواء في الإسهامات الغربية أم العربية- على نصوص مصنوعة من قريحة قائليها فكان اختيار النص موضع الدراسة؛ فهو صالح لأن نختبر على محكه مقولات نحو النص متمثلة هنا في وسائل الترابط النصي من الإحالة والاستبدال والحذف .... إلخ .
- الإسهام في التعريف بالنظرية النصية وإثراء المكتبة العربية بأعمال في ذلك المجال مع الحاجة إليه .
- الإسهام في إحياء هذا الفصيل من التراث اللغوي المتمثل في معاهدات الرسول – صلى الله عليه وسلم – ورسائله بعد أن كادت تغفل عنه الدراسات اللغوية وتصرف جل اهتمامها إلى القرآن الكريم والشعر العربي.

وتتمثل **أهمية الدراسة** في:

- المزاوجة بين معطيات التراث والدرس اللغوي الحديث .
- الكشف عن وسائل السبك التي أدت إلى تماسك النص شكليا ودلاليا .
- الكشف عن بعض التفرد للنص المكتوب فيما يخص وسائل الترابط عنه في التواصل الشفوي ، فالتواصل الكتابي يتسم بالانفصال عن الزمان والمكان والشخص ، ويعفى من مقتضيات موقف الحال وتعالج فيه الجمل خارج سياقاتها.

الدراسات السابقة :

استقراؤها في ذلك يثبت أنه تتوزعها ثلاثة اتجاهات :

الأول: دراسات على المستوى التنظيري فقط، ومنها: عناصر السبك بين القدماء والمحدثين للدكتورة نادية النجار ضمن كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية "العربية بين نحو الجملة ونحو النص" ، دار العلوم ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .

الثاني: على المستوى التطبيقي ويغلب عليه التطبيق في إحدى سور القرآن الكريم ، أو في الشعر العربي، ومنه :

- السبك النصي في سورة الملك ، دكتور هيثم حماد الثوابية ، جامعة عين شمس، عدد ٢ ، مجلد ١٨ ، ٢٠١٢م .
- التماسك النصي في شعر علي بن الجهم ، سميرة محمد إدريس ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، القاهرة ، ٢٠١٢م .

والثالث: على المستوى التطبيقي أيضا لكنه يتناول الترابط النصي من خلال إحدى وسائل السبك أو بعضها ، ومنه :

- أثر التكرار في التماسك النصي " مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات دكتور خالد المنيف " للدكتورة نوال بنت إبراهيم الحلوة ، مجلة جامعة أم القرى ، السعودية ، العدد الثامن ، مايو ٢٠١٢م .
- الإحالة بالضمير وأثرها في تماسك النص " سورة الفتح أنموذجا " ، دكتور عبد الله علي أبو شبانة ، مجلة كلية الآداب – جامعة السويس ، عدد سبتمبر ٢٠١٦م.

أما ما يجعل الدراسة طرازا مباينا لهذه الدراسات فشيئان :

الأول: النص موضع الدراسة ، فلم أعثر – فيما اطلعت – على دراسة تتخذ من معاهدات الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو رسائله مجالا لها على أهمية هذه النصوص وثرائها .

الثاني: إتيانها على جميع وسائل السبك التي عرض لها النصيون، فحتى الدراسات التي تحمل عنوان التماسك النصي نفاجأ عند الولوج فيها باقتصار معظمها على بعض الوسائل .

وقد اتبعت الدراسة **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يعنى بتتبع وسائل السبك والكشف عن كيفية إسهامها في صنع الاتساق .

وقد جاءت خطة الدراسة على النحو الآتي :

- مقدمة: بها هدف الدراسة ، وأسباب اختيار الموضوع ، وأهمية الدراسة ، والدراسات السابقة .
- تمهيد: السبك لغة واصطلاحا .
- **الفصل الأول: السبك النحوي وأثره في تماسك النص، وبه أربعة مباحث :**
  - المبحث الأول: الإحالة .
  - المبحث الثاني: الاستبدال .
  - المبحث الثالث: الحذف .
  - المبحث الرابع: الربط .
- **الفصل الثاني: السبك المعجمي وأثره في تماسك النص، وبه مبحثان :**
  - المبحث الأول: التكرار .
  - المبحث الثاني: المصاحبة المعجمية .
- الخاتمة: وبها أهم النتائج :

والله أسأل القبول والسداد والنفع به ،،

تمهيد :

السبك "Cohesion" لغة واصطلاحا

السبك في اللغة معناه الإذابة والإسالة ، يقال " سبَكه يسبِكه أذابه وأفرغه .. وكسفينة القطعة المذوّبة"(١).

وهذا المعنى اللغوي لا يتفق مع مفهوم السبك عند النصيين إلا على سبيل المجاز؛ فكأن مفردات النص وجمله وفقراته تصهر في بوتقته بواسطة وسائل الربط ، فالسبك عندهم أحد معايير النص، و "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطيحة على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي"(٢).

وهذا يعني أنه يختص بالتماسك الشكلي للنص؛ فعن طريق وسائله تشكل عدة جمل متتالية نصا ، أي أنه يختص " بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص ، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق"(٣).

إنهم يعدونه شرطا للنصية يُحكم من خلاله بوجودها من عدمه فـ " مبدئيا تشكل كل متتالية من الجمل – كما يذهب هاليداي وحسن – نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات"(٤)، وإنما تتأسس علاقة الاتساق " في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل

---

(1) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الجيل – بيروت، د.ت: ٣١٥/٣، (سبك)، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، د.ت: ٣/ ١٢٩.

(2) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٨: ١٠٣، وينظر لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١: ١٥ ،

- Halliday (M.A.K) and Ruqaya Hassan , (1976) Cohesion in English , Longman , London , P. 4.

(3) نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد العاشر، العددان ١، ٢، يوليو، أغسطس، ١٩٩١: ١٥٤.

(4) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.

عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر ، يفترض كل منهما الآخر مسبقا؛ إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول "[١] ، وتلك هي فكرة المرجعية التي تتحقق من خلال وسائل الربط اللغوية الممثلة لذلك المعيار ، والغالبة عليها.

وقد وضع له النصيون العرب عدة اصطلاحات منها: التضام، والاتساق، والانسجام، والتماسك ، والترابط ، وهي المقابلات العربية للمصطلح "Cohesion" وقد أطلق عليه الدكتور سعد مصلوح مصطلح "السبك" في مقابل "الحبك" المقابل العربي للمصطلح Coherence، ويعني " احتباك المفاهيم والتصورات في علاقات منطقية كالتضاد والتناقض والاستدعاء والسببية وهلم جرا "[٢] ، فالحبك يمثل الاستمرارية الدلالية في مقابل الاستمرارية الشكلية التي يمثلها السبك ، وكلاهما يمثلان التماسك النصي .

وجدير بالذكر أن وسائل الربط في ظاهر النص تكون على مستوى العلاقات داخل الجملة ، وبين الجمل ، والفقرات ، وفى مجمل النص على ما سيأتي .

وتعود أهمية السبك إلى دوره في تحقيق الكفاءة النصية، وهي "صياغة أكبر كمية من المعلومات بإنفاق أقل قدر من الوسائل"[٣] .

وقد درج الباحثون على تقسيم هاليداي وحسن[٤] للسبك إلى سبك نحوي وآخر معجمي ، وتتعدد وسائل كل منهما؛ فالسبك النحوي عندهما يشمل الإحالة، والإبدال ، والحذف ، والوصل، ويضم الاتساق المعجمي التكرار ، والمصاحبة المعجمية.

---

(1) السابق: ١٥، وينظر تحليل الخطاب تأليف ج. ب. براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفى الزليطي، د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤١٨ – ١٩٩٧ م: ٢٢٧، ٢٢٨.

- Cohesion in English , P. 4.

(2) في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤: ٢٣٢، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨٠ – ٨١.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٢٩٩.

(4) ينظر: Cohesion in English , P. 40.

– وينظر: لسانيات النص: ١٥، ١٧، ٢٤، ٢٥، النص والخطاب والإجراء: ٣٠١ وما بعدها، في اللسانيات العربية المعاصرة: ٢٣١، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د.أحمد عفيفي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: ١٠٥.

الفصل الأول

السبك النحوي و أثره في تماسك النص

- **نص المعاهدة .**
- **المبحث الأول: الإحالة .**
  - الإحالة الضميرية .
  - الإحالة بأسماء الإشارة .
  - الإحالة بالمقارنة .
  - الإحالة بالأسماء الموصولة .
  - الإحالة بأل التعريف .
  - الإحالة الظرفية .
- **المبحث الثاني: الاستبدال .**
- **المبحث الثالث: الحذف .**
- **المبحث الرابع: الربط .**

نص المعاهدة(*)

هذا ما كتب محمد النبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأهل نجران، إذ(**) كان عليهم حكمه في كل ثمرة ، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق(***) فأفضل ذلك عليهم ، وترك ذلك كله لهم؛ على ألفي حلة من حلل الأواقي: في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، كل حلة أوقية من الفضة ، فما زادت على الخراج أو نقصت الأواقي فبالحساب ، وما قضوا من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض أُخذ منهم بالحساب ، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوما فما دون ذلك ، ولا تُحبس رسلي فوق شهر .

(*) المعتمد في ذلك هو كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمعها محمد حميد الله، دار النفائس – بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧: ١٧٥ – ١٧٦، وينظر في ذلك أيضا: الطبقات الكبرى للإمام ابن سعد، دار صادر – بيروت: ١ / ٢٨٧، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الإمام ابن الأثير، تحقيق علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥– ١٩٩٤: ٤ / ٣٦٦، تاريخ الطبري، الإمام ابن جرير، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ: ٢ / ٢٥٩، دلائل النبوة، الإمام البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ: ٥ / ٣٨٩، زاد المعاد، الإمام ابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧– ١٩٨٦: ٣ / ٦٣٥، السيرة النبوية، الإمام ابن كثير، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٥ – ١٩٧٦: ٤ / ١٠٤.

(**) وردت في المرجع الذي اعتمدنا عليه (إذا) والمعنى يقتضي (إذ) وقد وردت في المرجع نفسه في رواية ابن زنجويه (إذ) ص ١٧٨، وينظر المراجع السابقة .

(***) معاني بعض الكلمات: صفراء وبيضاء: الذهب والفضة، رقيق: عبيد، الحلة: ثوبان من جنس واحد، الأوقية: قيمة عملة ووزن بما قدره أربعون درهما، ينظر: المراجع السابقة، المواضع نفسها.

وعليهم عارية: ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا ، إذا كان كيد باليمن ومعرَّة ، وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض ، فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم ، وأنفسهم، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يُغير أُسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ، وليس عليهم رُبِّيّة ولا دم جاهلية ، ولا يُحشرون ، ولا يُعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فبينهم النَّصف غير ظالمين ولا مظلومين ، ومن أكل ربا من ذي قَبَل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر .

وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم ، غير مثقلين بظلم .

شهد أبو سفيان بن حرب ، وغيلان بن عمرو ، ومالك بن عوف من بني النصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة بن شعبة ، وكتب لهم هذا الكتاب عبد الله بن أبي بكر .

المبحث الأول

الإحالة " Reference "

" الإحالة " مصدر أحال يحيل ، والمعاني التي تشير إليها " ح. و. ل " في اللغة قد تبدو بعيدة عن مفهوم الإحالة عند النصيين؛ إلا أن إنعام النظر في بعض هذه المعاني يوجد لها صلة ما بهذا المفهوم ، من ذلك أن " الحاء والواو واللام أصل واحد ، وهو تحرك في دَوْر ، فالحول العام وذلك لأنه يحول أي يدور.. والحِيلة والحويل والمحاولة من طريق واحد وهو القياس الذي ذكرناه لأنه يدور حوالَي الشيء ليدركه"[١] ، ومن ذلك أيضا أن أحال " الغريم زجّاه عنه إلى غريم آخر .. وتحول عنه زال إلى غيره" [٢].

وهو ما يقترب من فكرة العائدية أو المرجعية التي بُينت عليها الإحالة بوسائلها المختلفة ، وما يحدث من توجيه العنصر المحيل المتلقي إلى المحال إليه ، أو تحول منتج النص عن عنصر التعلق وانصرافه إلى صيغ الإحالة على ما سيتضح فيما يأتي .

أما الإحالة " Reference " في اصطلاح النصيين فهي " العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص"[٣]، وهذه هي الإحالة المشتركة Co – Reference أو الداخلية Endophora، أو النصية Textual أو المقالية؛ حيث يحيل اللفظ الكنائي على مذكور سابق أو لاحق داخل النص، فالمحيل والمحال إليه كلاهما مذكوران في النص؛ لذا عرف بوهوميل باليك هذا النوع بأنه " تعبير لغوي يتعلق بتعبير لغوي آخر في النص "[٤] .

---

(1) مقاييس اللغة: ٢ / ١٢١ (حول).

(2) القاموس المحيط: ٣ / ٣٧٥ – ٣٧٥.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.

(4) علم لغة النص، نحو آفاق جديدة، نقلها إلى العربية: د. سعيد حسن بحيرى، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧: ٢١١ (عن مقالة بعنوان: الإحالة النصية (الإحالة المتقاطعة) إسهام في النحو الفوقي).

فإذا كان المحال عليه خارج النص سميت الإحالة خارجية Exophora، أو مقامية situational ، أو الإحالة لغير مذكور؛ إذ ينبغي حينئذ تصيد المرجع ، فهي " إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري (شيء) غير لغوي موجود في المقام الخارجي "[١] ، وكي يفسر المتلقي ما تعود إليه الكنائيات فإنه يتوسل " في الربط بين العنصر الإحالي ومفسره بمعطيات مقامية وأخرى ذهنية مجردة "[٢] .

ويثبت هذا النوع من الإحالة التفاعل القائم بين اللغة والواقع الاجتماعي والثقافي ، ويؤكد الحاجة إلى نحو النص؛ لأن الواقع الاجتماعي– كما يقول روبرت دي بوجراند– "ينطبق على الوقائع لا على أنظمة القواعد النحوية "[٣] .

ويرون أنها لا تمنح النص سمة التماسك ، بل تضعف الاتساق وتقلل التآخذ، وما لها من دور فإنها "تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص "[٤]، وقد أخذ روبرت دي بوجراند على هاليداي وحسن ومن تبعهما تلك النظرة، يقول: "لم يعطوا كبير اهتمام للارتباط الملحوظ (غير الملفوظ) لأمور أخرى في النص مثل المعلومات المختزنة ومعرفة العالم ... وكان ذلك مسببا عن غلبة النحو على دراسة اللغة حتى إن البعض ليعلن عن ميله إلى تناول وسائل الترابط كما لو كانت تشير إلى كلمات سطحية لا إلى محتوى علاقات مفهومية ملحوظة "[٥] .

---

(1) نسيج النص، بحث في: ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي– بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣: ١١٩، وينظر النص والخطاب والإجراء: ٣٣٢ .

(2) السابق: ١٢٧.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٩٢.

(4) لسانيات النص: ١٧، ١٨، وينظر: تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٠، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٢،

- Cohesion in English , P. 37.

(5) النص والخطاب والإجراء: ٢٩ – ٣٠.

ونراها تؤدي دورها في إحداث الترابط عن طريق إشراك المتلقي في تبين المراد وإثارته وإعمال ذهنه في استحضار ما يحيط بالموقف ، وتوجيه معلوماته الخارجية ، وثقافته العامة وصلته بعالم النص نحو استكشاف المرجع مما يؤدي إلى استمرارية النص لديه وارتباطه به ، بل يرى روبرت دي بوجراند أن " للإحالة إلى غير مذكور على وجه الخصوص كفاءة من حيث تجاوزها للخطوة البينية في تسمية المفهوم "[١] .

وتنقسم الإحالة الداخلية – حسب اتجاه الإحالة – إلى قسمين :

" أ – إحالة على السابق أو الإحالة بالعودة Anaphora ، وهي تعود على مفسِّر سبق التلفظ به .. وتمثل أكثر أنواع الإحالة دورانا في الكلام .

ب – إحالة على اللاحق Cataphora: وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها "[٢] .

وسواء أكانت داخلية أم خارجية فإنها " لا تخضع لقيود نحوية إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه"[٣] ، فهي رابط دلالي ، وتشغل من بين العوامل التي تحدث سبك النص وتماسكه مكانا بارزا ، بل تعد "شرطا جوهريا .. للحبك النصي والتماسك النصي، وتكوين النص، والنصية "[٤].

ومن خلال ما سبق يمكن أن **نعرف الإحالة** بأنها: علاقة دلالية بين طرفين أحدهما لفظ كنائي لا يفهم إلا بالرجوع إلى الطرف الآخر ، ذلك الفهم يناط به المتلقي ، ويوجه إليه منتج النص ، شريطة اتحاد المرجع في مفهوميهما.

---

(1) السابق: ٣٣٢.

(2) نسيج النص: ١١٨ – ١١٩، وينظر: أساسيات علم لغة النص، مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، كلماير وآخرون، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م: ٢٥٢، لسانيات النص: ١٧، -Cohesion in English , P. 33.

(3) لسانيات النص: ١٧.

(4) أساسيات علم لغة النص: ٢٥٩.

وجدير بالذكر هنا أن الإحالة بهذا المفهوم قد عرفت عند القدماء من خلال حديثهم عن مرجعية الضمير أو عائديته ، وقرينة الرتبة في تحديد العائد المتقدم أو المتأخر ، فالأصل عندهم أن يعود الضمير على متقدم ، لذا نراهم يعددون المواضع التي يجوز أن يعود فيها على متأخر لفظا ورتبة[1] ، وكذلك في حديثهم عن الألفاظ المبهمة[2]؛ فعود الضمير على متقدم يمثل ما يطلق عليه النصيون الإحالة الخلفية ، وعوده على متأخر هو ما يعرف لديهم بالمرجعية اللاحقة .

نجد لديهم كذلك مفهوم الإحالة لغير مذكور ، يقول الثعالبي تحت عنوان " فصل في الكناية عما لم يجر ذكره من قبل ": " العرب تقدم عليها توسعا واقتدارا واختصارا ثقة بفهم المخاطب كما قال عز ذكره ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ الرحمن/ ٢٦، أي من على الأرض ، وكما قال ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ص / ٣٢ ، يعني الشمس ، وكما قال عز وجل ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ القيامة / ٢٦، يعني الروح ، فكنى عن الأرض والشمس والروح من غير أن أجرى ذكرها "[3] .

أركانها :

إن استقراء تعريفات الإحالة وتطبيقاتها يؤكد أن عناصرها خمسة ترتبط ببعضها ارتباطا لا يسمح لأحدها بالانفراد وهي: المحيل ، والمحال إليه ، والعلاقة بينهما ، ومنتج النص (الكاتب / المتكلم) ، والمتلقي (السامع / القارئ) .

---

(1) ينظر: المقتضب، أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥ – ١٩٤: ٢ / ١٤٢، ١٤٣، ٣ / ٦٧، ١١٣، ٤ / ٧٧، ١٠٢، الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ت، ٢٥٩/١. مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤١٦ – ١٩٩٦: ٢ / ٥٦٢، ٥٧٣، الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٤١٨ – ١٩٩٧: ٢٥٢.

(2) ينظر: الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، د.ت: ٧٨/٢ .

(3) فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت: ٢٠٩.

أما **العناصر الإحالية** Anaphors فتطلق على " قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ، فشرط وجودها هو النص .. مزدوجة الدور في اللغة :

– تشير إلى المشار إليه وتعينه في المقام الإشاري ، فهي غير ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها .

– تعوض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضار عهد أو إدراك حسي أو غيره"[١] ، ولأنها لا تستقل في الدلالة بنفسها يصفها هؤلاء بأنها " أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر "[٢] ، وترجع أهميتها في إحداث الاستمرارية والربط إلى أنها :

– تمثل موجهات للمتلقي فهي " إشارات تركيبية يستخدمها المتكلم ليبين للمستمع على أي نحو (في أي اتجاه) ينبغي إجراء ربط داخل النص"[٣].

– من ناحية الدلالة "مؤكِّدات لأنها مدعمة بالواقع المادي الخارجي وبالمؤكد اللفظي أيضا ، وهي تفيد التأكيد والاختصار في اللفظ لإغنائها عن ذكر المشار إليه "[٤].

أما **المحال إليه** أو عنصر التعلق فهو " ذوات أو مفاهيم جرى التعبير عنها في شكل أسماء مفردة أو مركبات اسمية تذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة في النص... ثم يحال على كل واحد منها عن طريق المضمرات"[٥] ، فهو المرجع والمفسِّر للعنصر المحيل ، وقد يوجد خارج النص أو داخله.

أما **العلاقة بينهما** فهي علاقة دلالية تقتضي :

---

(1) نسيج النص: ١١٨، وينظر تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٠، لسانيات النص: ١٧.
(2) السابق: ١١٦، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠ .
(3) أساسيات علم لغة النص: ١٣٤.
(4) تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ – ٢٠١٤: ٢٣١ .
(5) نسيج النص: ١٢٦.

١- "وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه"[١]. أي في الجنس والعدد، وتلك هي القاعدة المطردة للإحالة والتي تجيب عن السؤال " ما الشروط التي يعلق السامع أو القارئ بناء عليها صيغة إحالة بعنصر تعلق موافق؟"[٢].

٢- " الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع "[٣]، مع مراعاة اتحاد هذا المرجع في مفهوم كل من المتكلم والمتلقي .

وأما **المتكلم والمتلقي** فيمثلان محيط النص ابتداء وانتهاء ، إنتاجا وغاية ، ولا تعد الإحالة ناجحة إلا إذا وافق فهم المتلقي قصد المتكلم في إرجاع المحيل إلى المحال إليه ، لذا يشيد براون ويول بتصريح بعض النصيين بأن " المتكلم هو الذي يحيل باستعماله لتعبير مناسب ، هذا المفهوم الأخير للإحالة هو بالذات المفهوم الذي يجب على محلل الخطاب الاعتماد عليه "[٤] ، ويأخذ الدكتور محمد خطابي على كل من هاليداي ورقية حسن عدم وعيهما بدور المتلقي " وأقل ما يقتضيه الوعي بهذا الدور هو افتراض (قدرة نصية) لدى المتلقي لها ضوابط ومكونات "[٥] ، فكأن النص يكتب من وجهة نظره ، والروابط الإحالية مطروحة في طريق النص، وما ينشطها للقيام بدورها هو " وظيفة الذاكرة البشرية التي يمكنها أن تختزن آثار الألفاظ السابقة وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية "[٦] ، فالإحالة فعل ينجزه المتكلم والمتلقي .

---

(1) لسانيات النص: ١٧، وينظر: نسيج النص: ١١٨ ، Cohesion in English , P. 33.

(2) أساسيات علم لغة النص: ٢٥٣.

(3) نسيج النص: ١١٩.

(4) تحليل الخطاب، براون ويول: ٣٦، وينظر: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٧ .

(5) لسانيات النص: ١٣، وينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، ١٩٩٢: ٢٤١.

(6) نسيج النص: ١٢١، وينظر أساسيات علم لغة النص: ٨٠.

والكنائيات[1] التي تمثل العنصر المحيل وتعد وسائل الإحالة في إحداث الترابط هي الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، والموصولات ، وأضاف بعضهم الظرفية الزمانية والمكانية، وأضاف روبرت دي بوجراند (أل) التعريف التي تقابل في الإنجليزية (the) .

الإحالة الضميرية

ألمحنا فيما سبق إلى وعي القدماء بدور الضمير في عملية الإحالة والربط ، وقلنا إن ذلك يتمثل في حديثهم عن عائديته أو مرجعيته؛ فالمضمر " ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظا أو معنى أو حكما"[2] ، والأصل في ذلك عندهم أن " الإضمار لا يكون قبل المذكور"[3]؛ لذا عددوا مواضع عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وقد تحدث ابن هشام[4] – على سبيل المثال– عن الجمل التي تحتاج إلى رابط وعددها إحدى عشرة ، واستقراء هذه الروابط يؤكد أن أبرزها الضمير ، كما تحدث عن روابط الجملة بما هي خبر عنه وأحدها الضمير .

وإذا تناوله القدماء بوصفه رابطا على مستوى الجملة فإن له الدور الأكبر في استمرار النص وترابطه في علم لغة النص بوصفه أشهر صيغ الإحالة ، يقول براون

---

(1) ينظر في ذلك: النص والخطاب والإجراء: ٣٠١ وما بعدها، لسانيات النص: ١٧، ١٩، نسيج النص: ١١٦، ١٢١، أساسيات علم لغة النص: ١٣٤، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٨، ١٢١، تحليل الخطاب د. محمود عكاشة: ٢٣١ – ٢٣٢، مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦: ١٩٥/١.

(2) شرح كافية ابن الحاجب، بدر الدين بن جماعة، تحقيق: د. محمد محمد داود، دار المنار، القاهرة، د.ت: ١٩٤.

(3) المقتضب: ٤ / ٧٧.

(4) مغني اللبيب: ٢ / ٥٧٣، ٥٧٨، وينظر قواعد الربط وأنظمته في العربية ونظريات الربط اللغوية الحديثة، د. حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨: ١٣، ٢٠.

ويول: " من وجهة نظر نحوية نعد الضمائر ... أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة ... ونظرا لفراغها من محتوى فقد أصبحت الضمائر الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسيرها "[1] .

ونحصر فيما يأتي الإحالة بالضمير في النص موضع الدراسة ، ثم نفصل القول في قيامه بعملية الربط واستمرارية الاتصال .

الإحالة الضميرية في فضاء المعاهدة

العنصر المحيل / الضمير	نوعه	عنصر التعلق	نوع الإحالة
عليه	غائب	محمد	مقالية قبلية
سلم (هو)	غائب مستتر	الله	مقالية قبلية
عليهم	غائب	أهل نجران	مقالية قبلية
حكمه	غائب	محمد	مقالية قبلية
فأفضل (هو)	غائب مستتر	محمد	مقالية قبلية
عليهم	غائب	أهل نجران	مقالية قبلية
وترك (هو)	غائب مستتر	محمد	مقالية قبلية
كله	غائب	كل ثمرة ، كل صفراء وبيضاء، ورقيق	مقالية قبلية
لهم	غائب	أهل نجران	مقالية قبلية
زادت (هي) – نقصت (هي)	غائب مستتر	حلل الخراج	مقالية قبلية
قضوا	واو الجماعة هنا مثل ضمير الغائب	أهل نجران	مقالية قبلية
قضو(٥)	غائب مقدر	(ما) الموصولة قبلها	مقالية قبلية
أخذ (هو)	غائب مستتر	ما قضوا من...	مقالية قبلية
منهم	غائب	أهل نجران	مقالية قبلية
رسلي (٤ مرات)	متكلم	المتكلم	مقامية

(1) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٥٦، وينظر النص والخطاب والإجراء: ٣٢١.

متعتهم	غائب	رسلي	مقالية قبلية
عليهم	غائب	أهل نجران	مقالية قبلية
هلك (هو)	غائب مستتر	(ما) الموصولة قبلها	مقالية قبلية
أعاروا	واو الجماعة هنا مثل ضمير الغائب	نجران	مقالية قبلية
أعاروا(٥)	غائب مقدر	(ما) الموصولة قبلها	مقالية قبلية
فهو	غائب منفصل	(ما) هلك مما ...	مقالية قبلية
يؤدوا	واو الجماعة مثل ضمير الغائب	رسلي	مقالية قبلية
يؤدو (٥)	غائب	(ما)هلك مما..	مقالية قبلية.
إليهم ، حاشيتها ، أموالهم ، أنفسهم ، ملتهم ، غائبهم ، شاهدهم ، عشيرتهم ، بيعهم ، أيديهم .	غائب	نجران	مقالية قبلية
أسقفيته	غائب	أسقف	مقالية قبلية
رهبانيته	غائب	راهب	مقالية قبلية
كهانته	غائب	كاهن	مقالية قبلية
عليهم ، يحشرون ، يعشرون ، أرضهم	غائب	نجران	مقالية قبلية
سأل (هو)	غائب مستتر	(مَن) الموصولة	مقالية قبلية
منهم	غائب	نجران	مقالية قبلية
بينهم	غائب	من سأل حقا من أهل نجران من ناحية ،	مقالية مقامية

		والخصم من ناحية أخرى	
أكل (هو)	غائب مستتر	(من) الموصولة	مقالية قبلية
ذمتي	متكلم	المتكلم	مقامية
منه	غائب	من الموصولة	مقالية قبلية
منهم	غائب	نجران	مقالية قبلية
بأمره	غائب	الله	مقالية قبلية
نصحوا ، أصلحوا ، عليهم	غائب	نجران	مقالية قبلية
لهم	غائب	نجران/ الشهود	مقالية قبلية

وبالنظر إلى ما سبق يلاحظ أن عدد الضمائر في هذا النص (٥٦) ضميرا ، ورد ضمير الغائب فيها (٥١) مرة ، ما بين المتصل (٣٩) ضميرا – مع اعتبار واو الجماعة ضمير غائب لدلالتها هنا على الغائب – والمنفصل (ضمير واحد)، والمستتر (١١) ضميرا ، وقد وردت ياء المتكلم (٥) مرات.

جاءت هذه الضمائر لتحقق تماسك النص وترابطه بإحالتها إلى مرجعياتها بدلا من تكرار هذه المرجعيات ، متفقة في ذلك مع ما يقرره علم لغة النص على النحو الآتي :

مثّل **ضمير الغيبة أكثر الضمائر** – بل أكثر الصيغ الإحالية – انتشارا في النص ، ويعد ذلك سمة بارزة على قوة السبك والربط في المعاهدة إذ يرى النصيون "أن من خصائص صيغ الغيبة أنها يمكن أن تأتي بعدد تراكمي كبير من الإحالات على الكلام السابق ... إن هذه الظاهرة تسهم بشكل كبير في الترابط الداخلي للنص بما أنها تخلق نوعا من الشبكة من خطوط الإحالة بحيث يرتبط كل استعمال بكل الاستعمالات السابقة التي تصل إلى الإحالة الأولى (الأصلية)"[1]، فكثرة ورود الصيغ الإحالية يؤكد أن الجملة التي ترد بها لا تستقل في الفهم بنفسها، بل تحتاج إلى الاعتماد على غيرها ، ويسهم ذلك في نسج الروابط بين مكونات النص .

(1) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٩، وينظر Cohesion in English , P. 52.

وإنما يجعلون لضمير الغائب في ذلك الدور البارز لأنه غالبا يربط بين عنصرين داخل النص فإحالته داخلية مقارنة بضمائر المتكلم والخطاب التي تحيل دائما إحالة خارجية لا يعتد بها عند النصيين في الاتساق ، حتى قال هاليداي وحسن "حين نتحدث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء فإن صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص"[١] ، أو كما قال القدماء إنه "عارٍ عن المشاهدة فاحتيج إلى ما يفسره"[٢].

أما **ضمير المتكلم** ويمثله هنا ياء المتكلم التي أغنت عن اللفظ بالمضاف إليه في (رسلي) – أربع مرات – وذمتي، فتندرج في علم لغة النص تحت ما يسمونه بـــ "ضمائر الملكية "[٣] في مثل: كتابي، كتابهم، كتابك في مقابل الضمائر الوجودية مثل أنا، أنت، هو، ويصدق على ضمائر الملكية هذه ما يصدق على الضمائر الأخرى في الإحالة سوى أنها مزدوجة الإحالة أي تتطلب محالين: مالكا ومملوكا ، وإذ قد ثبت ذلك فإن ياء المتكلم في " رسلي " و" ذمتي" تمثل ضميرا حضوريا ، وعليه فالإحالة به مقامية إلى خارج النص[٤] ، وإن كانت تحيل إلى العنصر الإشاري الأول في النص (محمد) – صلى الله عليه وسلم – فهو المتكلم إلا أنه – فيما يرون – " لا يمكن معرفته إلا بوجوده في المقام وجودا حسيا ولكن هذا أمر يمنع وقوعه الفاصل الزمني بين الكتابة

---

(1) لسانيات النص: ١٨، وينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦: ١٨.

(2) همع الهوامع، السيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ٢٦٣/١.

(3) ينظر أساسيات علم لغة النص: ١٣٤، ٢٦٥، لسانيات النص: ١٨.

(4)Levinson , S. C (1983): Pragmatics. Cambridge University press, P. 69.

وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢٣.

والقراءة ويعوضه عند القارئ علمه بنسبة"[1]، النص إلى محمد – عليه السلام – والنص الذي بين أيدينا مكتوب .

وضمير المتكلم "يشير إلى الذات المتكلمة أو العين في العالم ولا يتطلب ذكر تسمية العين في الخطاب المنطوق المباشر لمعاينة ما يشير إليه، ويستوجب ذكر التسمية في صدر الخطاب المكتوب ثم الإضمار"[2]، وهو ما نجده واقعا ملموسا في نصنا هذا، ومع إقرارهم بأن الإضمار هنا يرجع إلى التسمية في صدر النص المكتوب، فإنهم يعدون ضمير المتكلم من الإحالة الخارجية التي لا تصنع اتساقا؛ إذ لا تربط عنصرين داخليين، أو أن ضمائر التكلم والخطاب حاضرة في المقام التخاطبي تفسرهما المشاهدة– كما يقول السيوطى[3] على أننا لا نسلم بذلك فقد يعد ضمير المتكلم هنا من وجهة نظر عربية أصيلة نوعا من الالتفات، ويعني "نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير الأول ... وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال"[4]، فهو توسع تسمح به اللغة وإذا كان شرط الإحالة التطابق بين المحيل والمحال إليه فإن الخلل الواقع فيه هنا استثناء بلاغي يقره العرف اللغوي والاستعمال في أعلى النصوص فصاحة ، فنجده كثيرا في القرآن الكريم ، على أن اختلال المطابقة هنا في الجهة فقط وليس في الجنس، واتحاد المرجع يؤكد ذلك ، فقد عبر عليه السلام عن نفسه في أول ظهور له بالاسم الظاهر (محمد) ، وهو ما يعادل ضمير الغائب المفرد المذكر ، ثم أحال عليه بضمير الغائب المتصل في (عليه وحكمه) والمستتر في (فأفضل ، وترك)، ثم انتقل إلى ضمير المتكلم في (رسلي)، كذا ذكر (ذمة محمد) أولا ثم (ذمتي) .

---

(1) نسيج النص: ١٤٨.

(2) تحليل الخطاب، د. محمود عكاشة: ٢٣٢، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢٣.

(3) ينظر: همع الهوامع: ١ / ٢٦٣.

(4) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث– القاهرة، د.ت: ٣/ ٢٥٣.

ولعلنا نجد ما يؤيد وجهة نظرنا في بعض نظريات علم لغة النص الحديثة؛ إذ يعد فاينريش صاحب نظرية الأداة ضمائر الملكية من الأدوات المعرفة التي تكمن وظيفتها "في الإحالة إلى معلومة لاحقة"[1]، وبذلك فهي إحالة نصية داخلية .

وإذا كانت **كفاءة الألفاظ الكنائية** تتضح "حين تستعمل للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي ينشط مساحات كبيرة من المعلومات"[2] ، فإن مراجعة عناصر التعلق السابقة يوقفنا على تلك الكفاءة النصية ، فعلى سبيل المثال :

- ما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ (هو) منهم بالحساب .

إحالة

مقالية قبلية

- وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض فهو :

إحالة

مقالية قبلية

والضمير هنا لا يحيل على الموصول وحده ، فعائد الصلة في الموضعين وجد قبل ذلك وإن كان مقدرا، وعلى حين يرى القدماء أن الضمير "يحل محل اسم، يراه المحدثون يحل محل ضميمة اسمية "[3] ، ونجاح الإحالة هنا رهين بجعل المفسِّر (ما) وما تبعها ، وتتجلى وظيفة الإحالة هنا وتحقيقها للاستمرارية والتماسك في :

١- "الاختصار لأن المرجع قد يطول حتى يبلغ كلاما مطنبا .

٢- كسر الرتابة التي تأتي عن تكرار إعادة الذكر"[4] .

---

(1) أساسيات علم لغة النص: ١٣٤، وينظر: ٢٦٥.
(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٣.
(3) أساسيات علم لغة النص: ٢٥٩.
(4) مقالات في اللغة والأدب: ١٥٣/١.

جاء استعمال الضمائر في النص متفقا وما يقرره النصيون من حيث **رتبتها مع ما تشير إليه** فـــ "إذا استعملت مع الضمائر ألفاظ أخرى تشير إلى نفس المدلول فإن الرتبة الطبيعية تبدو بتقديم ما هو أكثر تحديدا .. على الذي هو أدنى درجة .. في التحديد .. الرتبة تكون على صورة :

١ – اسم علم . ٢ – وصف محدد .

٣ – الأسماء الدالة على الأقسام الكلية. ٤ – الضمائر"[1]

ولنأخذ العنصر الإشاري (محمدا) عليه السلام على سبيل المثال لنجد الترتيب الآتي:

١– اسم علم (محمد) .

٢– وصف محدد (النبي رسول الله) .

٣– الضمير (عليه).

ولنأخذ مثالا آخر:

١- اسم علم :

أبو سفيان، غيلان ، المغيرة ، مالك ، الأقرع

٢-وصف محدد :

ابن حرب ابن عمرو ابن شعبة ابن عوف ابن حابس

٣-الأسماء الدالة على الأقسام الكلية

من بني النصر الحنظلي

٤- الضمائر: والإحالة إليهم بالضمير :

يصطبغ النص بسمة **التعدد الإحالي** الذي يسهم في تقديم التفصيلات التي يتضح من خلالها المحال إليه الذي قد يكون جزءا من الحدث ، بل قد يكون الحدث كاملا؛ فتعدد

(1) النص والخطاب والإجراء: ٣٢١ – ٣٢٢.

الصيغ الإحالية لمحال إليه واحد يحفز القارئ وينشطه في فهم المحتوى المفهومي للأحداث عبر بنية النص ، يتضح ذلك من خلال وجود عنصري تعلق بارزين يمثلان الكاتب / منتج النص (محمدا صلى الله عليه وسلم) من ناحية والمتلقي/ السامع (أهل نجران) من ناحية أخرى؛ فقد أحال إلى الأول بـــ (٩) ضمائر ، وإلى الثاني بـــ (٢٨) ضميرا ، فالعنصر الإشاري الأول في النص هو "أهل نجران" ، وما ذلك إلا لأنه محور القول وموضوع الكلام الذي لا بد أنه يزاحم منتج النص ويشغل حيزا كبيرا في ذهنه فأنشأ يستغني عن تكرار لفظه ويعبر عنه بالضمائر مكثفا لها لتحديد المعلومات الأساسية والثانوية ، وصنع الأحداث المتعاقبة ، ولنأخذ عنصر التعلق (محمدا) صلى الله عليه وسلم ليمثل له مع ما يحيل إليه على النحو الآتي :

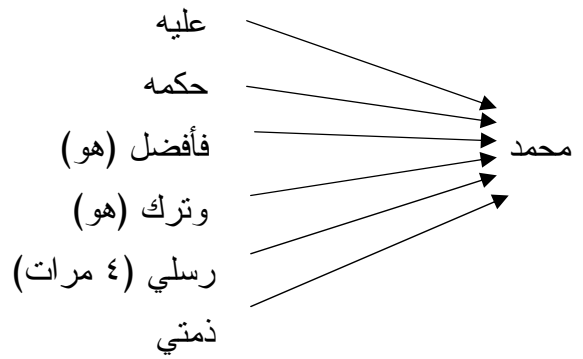

واختلاف جهة الضمير أو نوعه بين الغيبة والتكلم لا يقدح في أن الجميع يحيل إلى عنصر التعلق الأول (محمد)؛ فـــ " القارئ مهما غاص في النص فإن أي إحالة لاحقة .. لا بد أن تحل بالعودة إلى الوراء عن طريق سلسلة الإحالات حتى نصل إلى العبارة الأولى التي تملك بمفردها القوة التي تسمح للقارئ بالإفلات من قبضة النص وربط ما يقرأه بالعالم الحقيقي"[1] .

(1) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٩.

أما عنصر التعلق الأول في النص فيمكن تمثيله على النحو الآتي :

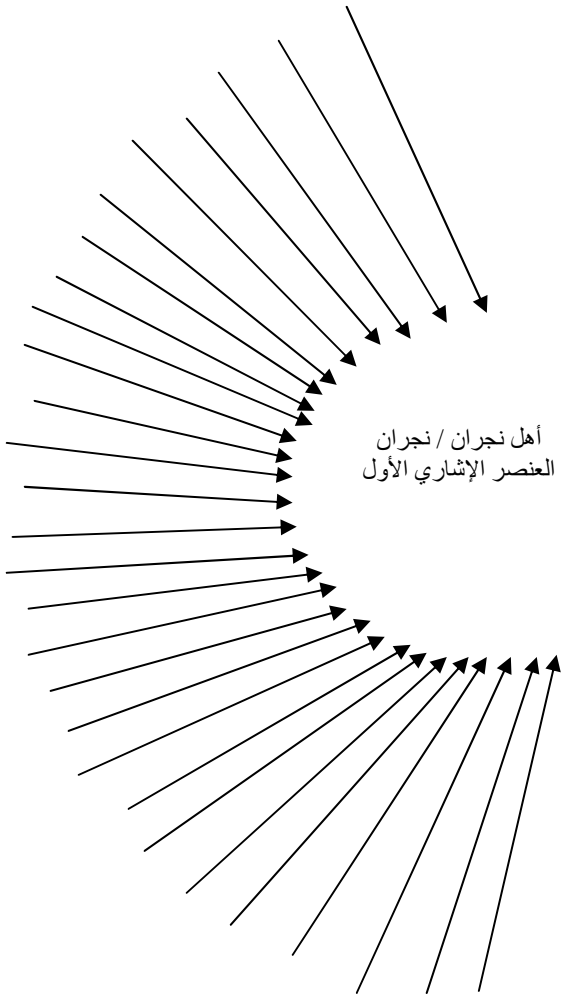

لقد قام الضمير هنا بدوره في تحقيق التماسك وافيا بالغرض منه عند اللغويين قدامى ومحدثين الذين اتفقوا على أن دوره يتمثل في الربط ، والاختصار، ورفع الإلباس "وذلك أنك إذا قلت: زيد ضربت زيدا لم تأمن أن يظن أن زيدا الثاني غير الأول ، وأن

عائد الأول متوقع مترقب ، فإذا قلت: زيد ضربته عُلم بالمضمر أن الضرب وقع بزيد المذكور لا محالة"[1]، ولنا أن نتصور تكرار الاسم في هذه المواضع وما يترتب عليه .

يتفق **اتجاه الإحالة الضميرية** في النص مع ما يقرره النصيون من أن "تأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها .. أي ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالا من ورودها متقدمة عليها"[2] ، بل جاءت الإحالات كلها قبلية تشير إلى مذكور سابق مما يسهم في استمرارية الاتصال واتساق النص ورفع الإلباس فـ " رجوع اللفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي ... ومن الأكثر صعوبة أن نتصور كيف يمكن التصرف بالنسبة للعود إلى متأخر. عندئذ يتحتم للفظ الكنائي أن يركم حتى تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة .. أو يترك بحسبانه حالة نحوية تظل لا مرجع لها في تحليل مهوش .. حتى يعثر لها في النهاية على مرجع"[3].

يتسم النص –على ما رأينا– **بوضوح المرجعية**، إلا أن لنا وقفة مع بعض الضمائر التي قد تبدو ملبسة بعض الشيء ، وبعرضها على ضوابط النصيين يزول عنها ذلك الوصف، من ذلك أن يكون المحال إليه (أهل نجران) والمحيل الضمير في (عليهم)، فإلى أيهما يحيل، إلى أهل أم إلى نجران ؟ والضابط الذي " اشتهر بين النحاة أن الضمير يعود على أقرب مذكور، ولكن هذا الكلام لا يقبل على إطلاقه وإنما يتحتم ذلك عند خوف اللبس أما إذا أمن اللبس فإن الضمير ينصرف إلى مرجعه مهما بعد عنه "[4] ، فالمرجعية – إذاً – لأقرب مذكور صالح لغة وعقلا ، وهنا يقع تطابق (هم)

(1) الخصائص: ٢ / ١٩٣، وينظر النص والخطاب والإجراء: ٣٣٠، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤١٤ – ١٩٩٤: ١٩١.

(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٧.

(3) السابق: نفسه.

(4) مقالات في اللغة والأدب: ١/ ١٩٧.

مع (أهل) خاصة – وهي أبعد – لذا أحال عليه السلام إلى نجران وحدها بعد ذلك بـــ (ها) في قوله: (ولنجران وحاشيتها) على أن اللغة ليست بهذا الجمود؛ إذ " يشتمل المعجم على المعاني كما يشتمل على ظلال المعاني ... والمطابقة النحوية تعتمد في حالات كثيرة على اختلاف الاعتبار، فالعرب مثلا قوم وشعب، وعرق، ولكنهم أيضا جماعة، وأمة ... "[1] ، والمركب الإضافي كالكلمة الواحدة.

وقريب من ذلك الضمير في (كله) يحتمل العود على (ذلك) السابقة عليه مباشرة والعود على قوله عليه السلام " كل ثمرة ، وكل صفراء ، وبيضاء ، ورقيق "، والضابط المذكور يرجعه إلى (ذلك) إلا أن المتلقي يستعين بكل أنواع القرائن في استجلاء المراد، و (ذلك) لفظ كنائي يحتاج بدوره إلى مفسِّر ، والكل يعود إلى المرجع الأول كما ذكر سابقا ، كذا فإن الضمير في (لهم) من قوله عليه السلام: " وكتب لهم هذا الكتاب ... "يحتمل الإحالة على الشهود ، أو إلى أهل نجران على أن اللبس لا يلبث أن ينحسر سريعا باللجوء إلى القرائن ، كما أن " معرفة العالم World Knowledge " عامل حاسم بدون شك "[2]، تلك المعرفة التي تصل بالكتاب إلى غايته " أهل نجران" .

والضمير المستتر "هي" في قوله عليه السلام: "فما زادت على الخراج ، أو نقصت عن الأواقي ... " يحيل إلى " حلة " من قوله: " كل حلة أوقية من الفضة ".

ولعلنا نلاحظ أن المحيل قد تغيرت صفاته عنه في المحال إليه ، فالحلة المذكورة تعادل أوقية من الفضة ، والمحيل يتحدث عن حلة زادت أو نقصت عن ذلك ، ولا ضير في ذلك ، فإذا كان "أهل علم الدلالة الشكلاني يركزون في الغالب على أهمية أن تكون العبارة المستعملة للإحالة على شيء صادقة / صحيحة في وصفها لذلك الشيء .. فإن المفهوم الذي يهم محلل الخطاب ليس صحة الإحالة بل (الإحالة الناجحة) ، ويعتمد

(1) السابق: ١ / ١٦٠.

(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٩.

نجاح الإحالة على قدرة المستمع على التعرف على المسمى الذي قصده المتكلم باستعمال العبارة المحيلة "[1] ، فاتحاد المرجع في مفهوميهما هو معيار نجاحها .

وتطلعنا الضمائر بوصفها عناصر إحالية على نوع نادر من الإحالة يؤكد **ارتباط التحليل بالنص وعالمه**؛ فبينما تقسم الإحالة إلى مقامية ومقالية يفرض علينا نصنا نوعا من الإحالة يجمعهما ، فتوصف بأنها " **مقالية مقامية** "، فالمحال إليه شيئان أحدهما مذكور في النص ، والآخر يجب تصيده من الخارج ، نجد ذلك في قوله عليه السلام: "ومن سأل منهم حقا فبينهم النصف "، فالضمير في "بينهم" يحيل إلى من سأل حقا من أهل نجران من ناحية ، والخصم من ناحية أخرى ، فالقرينة الحالية تقتضي ذلك وتدعمها القرينة اللفظية (بينهم) التي تقتضي وجود طرفين يتوازيان في النَّصف.

ويلاحظ خلو النص من ضمير الخطاب – وإحالته خارجية لا تسهم في صنع الاتساق – فقد بدأ عليه السلام بذكر "أهل نجران" في صورة الاسم الظاهر ثم أحال عليهم بضمير الغيبة ، مع معاودة إظهار الاسم ، ثم الإحالة إليه بضمير الغيبة وهكذا؛ تودد وتلطفا وأدبا جما في الخطاب، فهو عليه السلام صاحب دعوة ، وهؤلاء قد يستجيبون، ولنا أن نتصور استبدال ضمير الخطاب بضمير الغيبة – على سبيل المثال – في قوله: "إذ كان عليهم حكمه .. أُخذ منهم بالحساب .. وعليهم عارية" .

الإحالة بأسماء الإشارة

تعد الإشارة أحد العناصر الإحالية لأنها لا تستقل في الفهم بنفسها بل تحتاج إلى مفسر تعود إليه وتتضح من خلاله ، ومن هنا كانت فكرة المرجعية التي تقوم عليها الإحالة، فـ " أسماء الإشارة ما وضع لمشار إليه"[2] ، أي أنها "لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه"[3]، ولعل في ذلك تفسيرا للتناقض الذي قد يجده اللغوي في هذه الأسماء، فهي

(1) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٤٥ – ٢٤٦.

(2) شرح كافية ابن الحاجب لابن جماعة: ٢٠٥ .

(3) نسيج النص: ١١٨، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، مكتبة المتنبي، د.ت، ١٢٦/٣ – ١٣٧.

مبهمة ومعارف في الوقت نفسه ، فإبهامها وضعا يرفعه المرجع أو المشار إليه استعمالا وهي أحد الروابط التي ذكرها ابن هشام"[١] ، ويعدها بعض المعاصرين من قبيل ضمائر الحضور"[٢]؛ لأنها تستدعي مشارا إليه حاضرا في المقام؛ لذا رأى بعضهم الآخر أن الأصل فيها الإحالة إلى السياق الخارجي ، أي أن إحالتها مقامية"[٣]، والحقيقة أن "أسماء الإشارة بشتى أصنافها تقوم بالربط القبلي والبعدي "[٤] – على ما سيأتي.

وجدير بالذكر هنا أنها تقسم عند النحاة إلى ثلاث مراتب"[٥] :

- قربى: ويشار إلى القريب بما ليس فيه كاف ولا لام ، مثل: ذا ، وذي .
- وسطى: ويشار إلى المتوسط بما فيه الكاف وحدها، نحو: ذاك .
- بعدى: ويشار إلى البعيد بما فيه كاف ولام ، نحو: ذلك .

ونعرض الآن للإحالة الإشارية في نص المعاهدة :

الإحالة بأسماء الإشارة في فضاء المعاهدة

العنصر المحيل / اسم الإشارة	عنصر التعلق	نوع الإحالة
(هذا) ما كتب محمد	نص المعاهدة	مقالية بعدية موسعة قريبة
على ما في (هذا)	الكتاب	مقالية بعدية قريبة
وكتب لهم (هذا)	الكتاب	مقالية بعدية قريبة

(1) ينظر: مغني اللبيب: ٢ / ٥٧٥، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية في السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ – ٢٠٠٠: ١ / ١٣٨.

(2) ينظر مقالات في اللغة والأدب: ١/ ١٩٨ – ١٩٩ .

(3) ينظر: تحليل الخطاب، د. محمود عكاشة: ٢٣٦.

(4) لسانيات النص: ١٩.

(5) ينظر في ذلك: الكتاب ٢ / ٧٨، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، ١٤١٩، ١٩٩٨: ١ / ١٣٥ – ١٣٦، نسيج النص: ١١٨.

وردت الإحالة بأسماء الإشارة ثلاث مرات ، كلها قريبة بعدية مقالية باستخدام اسم الإشارة (هذا) ، مما يسهم في صنع الاتساق واستمرارية النص ، فالأولى: في قوله عليه السلام " هذا ما كتب محمد ... " ، فاسم الإشارة هنا يحيل **إحالة بعدية موسعة** إلى نص المعاهدة كاملا؛ إذ يتميز اسم الإشارة المفرد – كما يقول هاليداي وحسن – بما يسمى بـــ " الإحالة الموسعة " أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل"[1] ، وإذا قاس النصيون كفاءة الألفاظ الكنائية بدلالتها على قطع طويلة من الخطاب – كما رأينا فيما سبق – فكيف بدلالتها على فحوى الخطاب كله؛ مما يجعل اسم الإشارة هنا عامل إحالة رئيس أسهم في ربط النص من بدايته إلى نهايته ، وبلورة الأحداث من خلال المحال إليه ، وإذا أكد بعض اللغويين أن " للربط جانبا سيكولوجيا يوثق صلته بنوعين من أنواع النشاط العقلي هما التعرف والتذكر"[2] فإن دور الإحالة الموسعة في اتساق النص هنا يكمن في تحفيز النشاط العقلي الخاص بالتعرف على فحوى النص وتذكر حقائقه وتتابع الأحداث والتفصيلات ، كما أن الإبهام ثم التفسير فيه تشويق للسامع وجذب لانتباهه إلى المقصود .

أما الثانية والثالثة ففي قوله عليه السلام: "وعلى ما في هذا الكتاب "، "وكتب لهم هذا الكتاب "؛ فاسم الإشارة (هذا) يحيل إحالة بعدية إلى (الكتاب)، ولعلنا نلاحظ أن المحيل والمحال إليه كليهما داخل جملة واحدة وهو ما يتفق وقول روبرت دي بوجراند إن "العود على متأخر شائع جدا في الجمل المفردة""[3] ، وإذا كانت الإحالة البعدية تمثل عبئا على المتلقي – كما مر بنا – فإن ذلك ينتفى هنا من وجهين :

الأول: أن المحال إليه (الكتاب) يلي المحيل مباشرة، مما يجنب المتلقي عناء البحث عنه .

---

(1) لسانيات النص: ١٩.

(2) مقالات في اللغة والأدب: ٢٠٤/١ .

(3) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٧.

الثاني: أن أسماء الإشارة تتميز بأنها صيغ إحالة محددة للمكان"[1]، الذي نجد فيه المرجع قريبا أو متوسطا أو بعيدا .

واسم الإشارة هنا ذو دور مزدوج في صنع الاتساق، فإلى جانب المرجعية المذكورة يمثل تأكيدا يلمس من تكرار الشيء مرتين، مرة مبهما وأخرى مفسرا، واستعمال اسم الإشارة للقريب هنا يدل على وضوح المحال إليه (نص المعاهدة أو الكتاب) في ذهن صاحبه وكذا لمن يوجه إليهم. وقد خلت المعاهدة من الإحالة الوسطى، وكذلك البعيدة، أما اللفظ (ذلك) الذي تكرر في النص فسيأتي الحديث عنه في مبحث الاستبدال .

الإحالة بالمقارنة Comparative Reference :

هي "كل عملية مقارنة تتضمن شيئين – في الأقل – يشتركان في سمة مشتركة بينهما .. وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها ، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم"[2]، فهي مثل الضمائر وأسماء الإشارة تؤدي وظيفة اتساقية ، وتقسم عندهم إلى[3]:

١- عامة ، ويتفرع منها :

- التطابق وألفاظه نحو: نفسه ، وعينه ، ومطابق ، ومكافئ ، ومساوٍ ، ومماثل ، وقبيل ، ومثيل ، ونظير ، ومرادف .

---

(1) ينظر: أساسيات علم لغة النص: ٣٢٤.

(2) الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه، د. محمد يونس، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد السادس، العدد الأول، المحرم – ربيع أول ١٤٢٥هـ، أبريل– يونيه، ٢٠٠٤: ١٩١ – ١٩٢، وينظر:
Cohesion in English , P. 76 – 77.

(3) ينظر: لسانيات النص: ١٩، الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه: ١٩٣.
Cohesion in English , P. 76 – 77 .

- والتشابه وألفاظه نحو: شبيه ومشابه .
- والتخالف وألفاظه منها: مخالف ، ومختلف ، ومغاير ، ومجموعة الألفاظ المقارنة التي تعبر عن الآخرية ، ومنها: الآخر ، وأيضا ، والبديل ، والباقي .

٢- **وخاصة** ، تتفرع إلى كمية وكيفية ، ويؤدي هذه الوظيفة في العربية صيغة أفعل التفضيل مثل: أجمل من ... ، وصيغ أخرى تعبر عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم أو الكيف ، نحو: جميل مثل ...

المقارنة العامة في فضاء المعاهدة :

نجد من ذلك ما يأتي :

- قوله عليه السلام "غير ظالمين ولا مظلومين" فالمقارنة هنا تؤدي معنى الاختلاف بين طرفيها عن طريق العنصر الإحالي (غير) ، فالنَّصف سيقع بين الطرفين أحدهما غير ظالم للطرف الآخر ، ولا مظلوم منه ، والظرف (بينهم) يقتضي وجود طرفين ، ووقوع المقارنة .

- ومثل ذلك قوله عليه السلام: " غير مثقلين بظلم " ، فهؤلاء – ويمثلون الطرف الأول – لهم ذمة محمد عليه السلام والمسلمين – الطرف الثاني– الذين يتوقع منهم العدل أو الظلم فأوضح عليه السلام أنهم غير مثقلين بظلم من قِبل المسلمين ، ولا يفهم ذلك إلا بالإحالة إلى الطرف الآخر .

- قوله عليه السلام "على ألفي حلة من حلل الأواقي " ، فالعنصر الإحالي (على) هنا أقام مقارنة بين وضعين ، الأول " ترك ذلك كله لهم، " والثاني " على ألفى حلة من حلل الأواقى" ، ووجه المقارنة أن الأول يترك لهم ، والثاني يؤخذ منهم، وهى إحالة مقالية قبلية فـــ "على" هنا تعني " في المقابل " أو " البديل " على ما ذكر في ألفاظ المقارنة .

المقارنة الخاصة :

منها قوله عليه السلام: " فما دون ذلك "، أي فعدد (أقل) من ذلك ، فأدى الظرف (دون) معنى المقارنة **الخاصة الكمية**؛ إذ لا يفهم المقصود إلا بالرجوع إلى السابق وهو" ما بين عشرين يوما "، والمعنى (عدد) يقع بين عشرين يوما (فعدد) أقل من ذلك[1] .

ويذكر الدكتور محمد يونس أن الإحالة بالمقارنة الخاصة يمكن أن تضم إليها الألفاظ الدالة على الترتيب الزماني، تلك التي تتسم بطابع النسبية في بيان الزمن مثل (من قبل) و(من بعد)" [2] ، ونجد من ذلك قوله عليه السلام " ومن أكل ربا من ذي قَبَل"[3]، فالعبارة تحيل على ما يُستقبل من أكل الربا لدى بعضهم ، وهذا يستدعي المقارنة ببعضهم الآخر الذي أكل الربا فيما مضى ليكتمل فهم المقصود؛ فالأول حكمه "فذمتي منه بريئة "، والثاني لا يدخل في هذا الحكم ، وتاريخ المعاهدة الذي طبع الزمن بطابع النسبية هو الفاصل بين طرفي المقارنة .

---

(1) فسرنا (ما) هنا بـــ " عدد يقع "؛ لأن المعنى يقتضي ذلك والأصل في(ما) أنها " مبهمة تقع على كل شيء "، كما يقول سيبويه، الكتاب: ٤/ ٢٢٨، وينظر: وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عرض وتوجيه ونقد: د. عبد العظيم فتحي خليل، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤: ٣ / ١٩٩ – ٢٠٠.

(2) الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه: ١٩٣.

(3) يقال: أفعل ذلك لعشر من ذي قبل – بفتح القاف والباء – أو قِبَل – بكسر ثم فتح – أي فيما يستقبل .
ينظر في ذلك: كتاب الألفاظ والأساليب، مجمع اللغة العربية، ما نظرت فيه لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب، وعرض على مجلس المجمع ومؤتمره، من الدورة الخامسة والثلاثين إلى الدورة الحادية والأربعين، أعد المادة والتعليق عليها: محمد شوقي أمين، مصطفى حجازي: ٢١١، وينظر: وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ٣ / ٣١.

الإحالة بالأسماء الموصولة

يحمل الموصول من صفات العناصر الإحالية خلوه من الدلالة المستقلة ، فالموصول " ما لا يتم جزءا إلا بصلة وعائد "[١] ، فهي عناصر لغوية "لا تفهم معانيها بأنفسها"[٢] ، فافتقاره إلى صلته في تمام فائدته متأصل فيه ، وقد وضعه الدكتور تمام حسان تحت قسم الضمير وجعل له دلالة ضمير الغيبة ، فالذي مثل (هو) ، ورأى أنه من وسائل الربط التي غفل عنها النحاة القدماء[٣] ، ولعلنا لا نسلم بهذا الحكم على إطلاقه، فقد عده النحاة من الروابط ، وقالوا: " الذي وضعوه وصلة إلى وصف المعارف بالجمل ولولاها لما جرت صفات عليها "[٤] ، واستقراء مفهومه عند القدماء يجعله ذا دلالة إحالية مزدوجة ، فهو محيل ومحال إليه في آن ، فعائدية ضمير الصلة إليه وتفسيره لذلك الضمير يجعل منه محالا إليه ، إلا أنه لا يزال عنصرا مبهما يلزمنا الرجوع إلى النص أو إلى خارج النص للبحث عن مفسر له والتماس المصادقات التي تمثله ، وهذا يجعل منه عنصرا إحاليا ، وهو ما جعل النصيين[٥] يعدونه أحد العناصر الإحالية ، وسنتناوله هنا من هذا القبيل .

---

(1) شرح كافية ابن الحاجب لابن جماعة: ٢٠٨، وينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية – القاهرة، د.ت: ١ / ١١٧.

(2) أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧م: ١٩٠ .

(3) ينظر: مقالات في اللغة والأدب: ١ / ١٩٥، ١٩٨: ٢٠٠ .

(4) بدائع الفوائد: ١١٦/١، وينظر: أسرار العربية: ١٩١، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها: ١٩٤ – ٩٥، قواعد الربط وأنظمته في العربية: ١٣.

(5) ينظر: النص والخطاب والإجراء: مقدمة مترجم الكتاب، ص ٣٢، الفصل الخامس، نسيج النص: ١١٨، مقالات في اللغة والأدب: ١ / ١٩٥.

العنصر المحيل / الموصول	عنصر التعلق	نوع الإحالة
هذا (ما) كتب	هذا	مقالية قبلية
(ما) قضوا من ...	دروع ، خيل ، ركاب ، عروض (تؤدى بصفة دورية)	مقالية بعدية
(ما) هلك ...	الهالك من الدروع والخيل والركاب والعروض المعارة	مقالية بعدية
(ما) تحت أيديهم	متصيد من خارج النص	مقامية
(مَن) سأل منهم ...	متصيد من خارج النص	مقامية
(مَنْ) أكل ..	متصيد من خارج النص	مقامية
(ما) في هذا الكتاب	نص المعاهدة وما تضمنه من شروط وبنود .	مقالية قبلية موسعة
(ما) عليهم	الخراج المذكور، ومؤنة الرسل ، والعارية وغيرها مما تضمنه النص .	مقالية قبلية موسعة.

يلاحظ خلو النص من الموصول المختص الذي يقتضي التطابق والتماثل ، على حين انتشرت الموصولات العامة المشتركة على مدار النص مسهمة في استمراريته وتماسكه بانصرافها إلى متعلقاتها ، وجدير بالذكر هنا أن اللفظ المحيل من حيث الإطلاق والارتباط ينقسم إلى :

- "مضمر مربوط Bound: وهو المضمر الذي يتوفر له مفسر يحكمه في النص.

– مضمر حر Free: وهو ما كان على خلاف الأول .. ومنه في العربية ما يحيل عليه الاسم الموصول المشترك "[1]، والرجوع إلى الجدول السابق يطلعنا على كلا النوعين على النحو الآتي :

– الموصول في " مَن سأل منهم حقا " ، " مَن أكل ربا " ، "ما تحت أيديهم" يحيل إلى أفراد وأشياء غير محددة ، فعنصر التعلق " ينطبق على ما لا نهاية له من الذوات فيصب في الإبهام المطلق"[2] ، فالإحالة خارجية تتصيد مراجعها من خارج النص ، وتسهم معرفتنا بالعالم في تفسيرها .

– الموصول في " ما قضوا من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض، وكذلك في قوله " ما هلك مما أعاروا رسلي من .. " يحيل إلى أشياء غير محددة تحديدا تاما، فالذي يقضونه ، والذي يهلك يختلف من مرة إلى أخرى ويتناسب ذلك وورودها نكرة .

– والموصول في "هذا ما كتب" يحيل إلى (هذا) الذي يحيل بدوره إلى نص المعاهدة ، ومثله (ما في هذا الكتاب) ، ويقترب منهما (ما عليهم)، فهذه الموصولات وإن بدت مرتبطة بمراجعها ، إلا أن هذه المراجع تنطوي على نوع من التوسع ، ولذا تعرف الإحالة بالموسعة على ما مر بنا .

ويعد استخدام الموصول المشترك هنا غاية في الدقة اللغوية؛ فهذه الحرية في المصادقات التي ينصرف إليها اللفظ يناسبها ما فيه من إبهام، يقول ابن القيم: " ما اسم مبهم في غاية الإبهام حتى إنها تقع على كل شيء ، وتقع على ما ليس بشيء"[3]، ويسهم ذلك بصورة فعالة في تنشيط المعلومات لدى السامع وتوسيع دائرة معرفته بعالم النص وارتباطه به .

---

(1) نسيج النص: ١٢٣.

(2) السابق: ١٢٧.

(3) بدائع الفوائد: ١١٧/١.

الإحالة بـ " أل " التعريف

يعدها هاليداي أحد وسائل الاتساق ، وهي أحد دواعي الكفاءة النصية عند روبرت دي بوجراند[١] ، وقد اعترف لها القدماء بهذه الوظيفة الإحالية فأجازوا نيابتها عن الضمير المضاف إليه كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات/ ٤١] أي: مأواه، وقولهم مررت برجل حسن الوجه أي وجهه ، وضُرب زيد الظهر والبطن أي ظهره وبطنه [٢] .

ويشرح دي بوجراند التعريف definiteness بأنه " وضع للعناصر الداخلة في عالم النص؛ إذ تكون وظيفة كل منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف ومعنى أن تحدد الوضع .. أنك تقول للسامع أو للقارئ إن المحتوى المفهومي المضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالفعل"[٣]، فهو مرتبط بمركز الضبط وهو المتكلم، وقد يتصل بما ذكر من معلومات مشتركة بين طرفي الاتصال (العهد الذكري)، وما عهد بينهما (العهد الذهني)، والعناصر المعروفة بالتفرد، مثل: الشمس والقمر وما ينتمي إلى النظام العام مثل الرئيس، الشرطة .

ولا تبعد هذه الأقسام عما وضع لحرف التعريف في العربية؛ إذ يقسم فيها إلى نوعين "أل" العهدية ، و "أل" الجنسية:

- فالعهدية " يكون مصحوبها معهودا ذكريا نحو ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المزمل/ ١٥ – ١٦].... أو معهودا ذهنيا نحو ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ التوبة / ٤٠... أو معهودا حضوريا... نحو: جاءني هذا الرجل.

---

(1) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣١، ٣٠١، ٣٠٧ وما بعدها، لسانيات النص: ١٩، بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٤٤ ،

Cohesion in English , P. 57 – 60.

(2) ينظر: مغني اللبيب: ١ / ٦٥.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٣١٠، وينظر: ٣١، ٣٠٨، ٣٠٩، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٤ – ١١٥.

– والجنسية إما لاستغراق الأفراد .. نحو ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/ ٢٨].. أو لاستغراق خصائص الأفراد.. نحو: زيد الرجل علما.. أو لتعريف الماهية.. نحو: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء/ ٣٠] "[١].

وجدير بالذكر هنا أن " أل " لا تبين لنا الجنس ولا العدد ، ولا تحدد لنا مكان المرجع من حيث القرب أو التوسط أو البعد ، كما هو في أسماء الإشارة ، فـ " كل ما تستلزمه أنه يمكن معرفة المرجع من خلال الرجوع إلى معارفنا عن العالم الخارجي في حالة " أل " الجنسية ، أو خلال النظر في السياق الداخلي بالنسبة إلى " أل " التي للعهد الذكري ، أو في السياق الخارجي بالنسبة إلى "أل" التي للعهد الذهني"[٢].

ويذكر النصيون أن " أل " التي للعهد الذكري هي أنسب أنواع " أل " وسيلة لتماسك النص؛ لأن إحالتها إحالة داخلية وهو ما يجعلها قادرة على ربط جملتين بعضهما ببعض"[٣] ، وذلك أنه يتقدمها مذكور سابق .

---

(1) مغني اللبيب: ١ / ٦١ – ٦٢.

(2) الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه: ١٩١ .

(3) السابق: نفسه وينظر:

Cohesion in English , P. 74.

" أل " التعريف في فضاء المعاهدة[١]

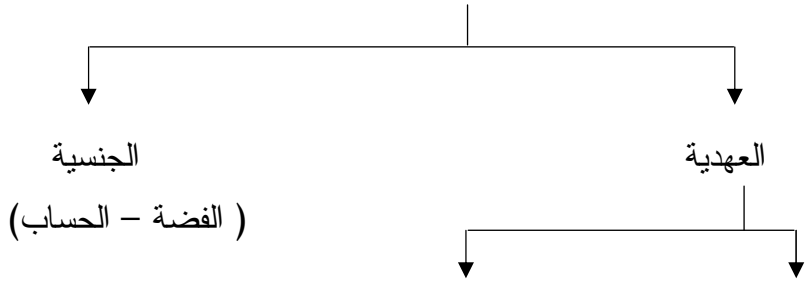

يلاحظ أن هذه الأسماء تقابلنا في النص هكذا معرفة "بأل" عند الذكر الأول لها ، وهذا يبطل فكرة أن أداة التعريف " تتقدم العبارات الدالة على ما سبق ذكره كما ينسب إلى أداة التنكير أنها تسبق ما لم يذكر من قبل "[٢]، فهذا يتناسب و"أل" التي للعهد الذكري.

أما إسهامها في اتساق النص فيكمن في أن المرجع الذي تشير إليه " أل" التي للعهد الذهني يبدو كالمتفق عليه بين المتكلم والمخاطب من خلال المعرفة المتبادلة بينهما والتفاعل القائم والمقام الذي وقع فيه الخطاب ، وإن اختلف مفهوم بعض الكلمات كـــ "

---

(1) لم أتناول هنا اسم الجلالة "الله" اتفاقا مع ما روي عن الخليل وسيبويه من "أن الألف واللام لازمة له لا يجوز حذفهما منه. قال الخطابي: والدليل على أن الألف واللام من بنية الاسم ولم يدخلا للتعريف دخول حرف النداء عليه كقولك: يا الله، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف "، تفسير القرطبي، علق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥: ١٠٨/١.

(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٧.

الرحمن، الرحيم، النبي "عند الطرفين، إلا أن المتلقي يفهم مقصود المتكلم، وذلك نجاح الإحالة .

أما العهد الحضوري " هذا الكتاب " فيقتضي حضور المحال إليه في مقام الخطاب، ودلالة الحضور عند النصيين لا تسهم في الاتساق – على ما مر بنا – إلا أن الحضور هنا يلابسه بعض من صفات العهد الذكري الذي يجعلون له النصيب الأكبر في ذلك؛ إذ سبقت الإشارة إلى ذلك الكتاب في بداية النص بقوله عليه السلام " هذا ما كتب محمد " ثم سماه الكتاب .

أما " أل " الجنسية فتحيل إلى حقيقة الجنس القائمة في الذهن أو مادته التي يتكون منها في العقل ، وتلك أمور ثابتة لدى المتكلم والمتلقي طبقا لمعرفتهما بالعالم والثقافة السابقة ، فالاتساق يكمن في اتحاد المرجع في خلديهما .

الإحالة الظرفية

يعدها النصيون أحد وسائل الإحالة[1] ، ويعللون لذلك بأن الإشارات الزمانية – على سبيل المثال – "كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم؛ فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام فإذا لم يعرف ... التبس الأمر على السامع أو القارئ"[2] ، فالوظيفة الإشارية لمورفيمات الزمن تتمثل في أنه " من خلالها يوجه المتكلم تلقي السامع للنص .. وبذلك تعقد صلة بينها (أي المورفيمات) وبين موقف الاتصال وشريك الاتصال"[3] ، وقد يختلف الزمن الكوني مع دلالة الزمن النحوي " فينشأ بينهما صراع لا يحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة "[4] .

---

(1) ينظر في ذلك: أساسيات علم لغة النص: ٢٥٠، نسيج النص: ١١٢، تحليل الخطاب د. محمود عكاشة: ٢٣٥.

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٩.

(3) أساسيات علم لغة النص: ١٣٤، وينظر: نسيج النص: ١١٢.

(4) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١.

وقد جاءت الظروف والأسماء الدالة على الزمان لتربط النص أوله بآخره وتسهم في تتابع الأحداث واستمراريتها ، من ذلك الظرف (إذ) الذي يحيل إلى الزمن الماضي لثبوت الحكم عليهم ، والظرف (إذا) الذي يحيل إلى زمن تأدية العارية وارتباطها بوقوع كيد باليمن ومعرة أي فيما يستقبل ، والمضي والاستقبال هنا يرتبطان بزمن المتكلم فهو مركز الإشارة الزمانية على ما ذكر .

ويلاحظ غلبة الزمن الموضوعي أو الزمان الكوني على نص المعاهدة وهو زمن " قابل للقياس ممتد مما قبل اللحظة الآنية وإلى ما بعدها ، ومحكوم بتعاقب الليل والنهار والفصول وحركة الأرض "[١]، إلا أنه مرتبط بالزمن الذاتي الخاص بالمتكلم ، من ذلك :

– " رجب ، صفر " يحيلان إلى الشهرين المعروفين من العام الهجري ، لكنه الذي كتبت فيه المعاهدة ، ثم ما يليه من أعوام ، ولو ورد الشهران على ترتيب الزمن الكوني لكان صفر أسبق لكنها ملابسات النص وزمن المتكلم؛ كذا يلاحظ أن هذين الشهرين ظرف لتأدية الخراج المطلوب ، على أن ذلك قد يكون في بعض أيامهما فـ " الإحالة إلى الزمان قد تستغرق المدة الزمانية كلها كأن يقال: اليوم الأربعاء ، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان كأن يقال: ضرب زيد عمرا يوم الخميس"[٢] .

– قوله عليه السلام " ما بين عشرين يوما فما دون ذلك ، ولا تحبس رسلي فوق شهر " فاليوم والشهر وحدات زمنية معلومة المقدار ، إلا أن بداية الشهر هنا إرسال الرسل إلى أهل نجران ، فمرجعية هذه الفترة ترتبط بذلك التاريخ، وكذلك الأيام العشرون، وهذا يتناسب وتنكير كلمة شهر الذي قد تتوزع أيامه الثلاثون في شهرين من أشهر الزمن الموضوعي .

---

(1) نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٦٢.

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠ .

وينظر: Levinson , S.C (1983) , P. 74

– أما قوله عليه السلام " من ذي قَبَل "[1] فمن الزمن الذاتي ، تحيل على الزمن المستقبل باعتبار تاريخ المعاهدة؛ فاللحظة الآنية هنا هي يوم عقد المعاهدة فما قبلها ماض وما بعدها مستقبل .

– كذا يعد المتكلم مركز الإشارة الزمانية للزمن النحوي ، فإذا كانت " ليس " لـــ " نفي مضمون الجملة في الحال"[2] ، فإن قوله عليه السلام: " وليس عليهم ربية " يرتبط الحال فيه بزمن المتكلم ، كذا فإن " لا " النافية للجملة الفعلية " تكون لنفي المستقبل "[3] ، وعليه فالمستقبل في قوله عليه السلام "ولا يحشرون ولا يعشرون" بالإحالة إلى زمن التكلم .

– أما الإشاريات المكانية الواردة في النص وتمثلها نجران – إذا أُريد بها المكان – اليمن ، معرة ، فإنها تحيل إلى تلك البقاع في العالم الخارجي بحدودها الثابتة لها وقت عقد المعاهدة فـــ "الإحالة الظرفية يعين دلالتها الواقع"[4] ، وكذا " أرضهم " و " كل ما (تحت) أيديهم " مرادا بها امتداد ممتلكاتهم في ذلك الوقت .

تعقيب :

والنظر إلى العناصر الإحالية السابقة من الضمائر ، والموصولات والإشارة.. إلخ توضح لنا حقائق إحالية تتفق وما يقرره علم لغة النص؛ فمن ذلك أن الإحالة جاءت عن

---

(1) ذو هنا بمعنى صاحب جيء بها توصلا إلى وصف الأسماء بالأجناس، أي: من زمن ذي قبل أو استقبال. ينظر: وقفة مع قرارات المجمع: ٣ / ٣٤ – ٣٥، كتاب الألفاظ والأساليب: ٢١١.

(2) ينظر: شرح المفصل، ٧ / ١١١، بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٦ – ١٩٩٦: ٢٢٩ .

(3) بناء الجملة العربية: ٢٣٠.

(4) تحليل الخطاب، د. محمود عكاشة: ٢٣٥.

طريق ألفاظ واجبة الصدق ، يتمثل ذلك في أن العناصر الإحالية في النص اشتملت على نوعين من الألفاظ: (١)

لفظ كمي وجودي	لفظ كمي كلي
يحيل إلى شيء مفرد ، فالمحال إليه موجود في عالم الواقع والحقيقة، مثل: – الضمير المستتر في سلّم، يحيل إلى الله سبحانه وتعالى. – الضمائر في حكمه، أفضل، رسلي .. تحيل إلى محمد عليه السلام . – شهر، تحيل إلى تلك المدة بالصفات المذكورة .	يحيل إلى مجموعة كاملة من الأشياء مثل: – الضمائر التي تحيل إلى أهل نجران: عليهم ، لهم ، منهم... إلخ . حيث يصدق الضمير على كل فرد منهم وإن كثروا . – " ذلك " التي تحيل إلى مجموعة الأشياء المذكورة . – (ما) وما يعود إليها من قوله عليه السلام "وما قضوا من ... ، وما هلك مما أعاروا ...

ولأن لكل نص عالمه ونحو النص ينطلق من ذلك العالم فإن الضمائر – على سبيل المثال – في (أسقفيته، رهبانيته ، كهانته)، وإن عادت بمفهوم نحو الجملة إلى مفرد هو أسقف، راهب، كاهن تحيل إلى مجموعة غير محددة يستفاد ذلك من الشيوع الناتج عن تنكير هذه المرجعيات ، فاللفظ يصدق على كل فرد يندرج تحت هذه الأسماء .

"تقوم بين العناصر الإشارية في النص سلمية تضبط درجاتها باعتماد عدد العناصر الإحالية التي تعود على كل منها، فأهم عنصر إِشاري في النص يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية(٢)".

وتفحص نصنا في ضوء ذلك يطلعنا على أن (نجران / أهل نجران) هي العنصر الإشاري ذو الكثافة الإحالية الأعلى ، يليه في ذلك (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وأن البقية عناصر ثانوية على درجات ، على النحو الآتي :

(1) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٧٢.
(2) نسيج النص: ١٣٥.

السلمية الإحالية في فضاء المعاهدة

العنصر الإشاري		عدد العناصر الإحالية
نجران / أهل نجران	٢٨	عليهم ، لهم ، قضوا ، منهم ... إلخ
محمد صلى الله عليه وسلم	٩	عليه ، حكمه ، فأفضل (هو) ...إلخ
نص المعاهدة	٥	(هذا) (ما) كتب، على (ما) في (هذا)، كتب لهم (هذا)
ثمرة ، صفراء ، بيضاء ، رقيق	٣	ذلك ، ذلك ، كله
(ما) هلك	٣	هو مستتر في هلك ، فهو ، يؤدوه
الله	٢	سلّم (هو) ، بأمره
حلل الخراج	٢	زادت (هي) – نقصت (هي)
(ما) قضوا	٢	عائد الصلة (قضوه) ، أُخذ (هو)
رسل	٢	متعتهم – يؤدوا
أسقف ، راهب ، كاهن	١	أسقفيته ، رهبانيته ، كهانته
اليمن	صفر	
معرة	صفر	
عبد الله بن أبى بكر	صفر	

المبحث الثاني

الاستبدال Substituotion

"عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر ، ويعد الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة علاقة اتساق إلا أنه يختلف عنها في كونه علاقة تتم في المستوى النحوي – المعجمي بين كلمات أو عبارات ، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي .. على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية ، أي علاقة بين عنصر متأخر وبين عنصر متقدم"(١).

ويصف براون ويول نظرة هاليداي السابقة للاستبدال بأنها بسيطة ، ويريان أنه "لا يحد بمجرد تعويض صيغة محيلة إلى الوراء بسابقة لها، فمثل هذا الاستبدال لا بد أن يتم تحت شرط التساوي في الوظيفة النظمية"(٢) ، ولعل في ذلك الشرط ما يقترب بمفهوم الاستبدال هنا من مفهومه في العربية بوصفه أحد التوابع التي تتبع في الإعراب ، أما من الناحية الدلالية فالصلة قائمة كذلك ، فالإبدال أو البدل في النظرتين يحقق التماسك في النص ، ففكرة التعويض قائمة هنا وهناك .

وقد توسع روبرت دي بوجراند في نظرته للاستبدال وأشاد بالنظرة التي تعده أحد وسائل الترابط ذات العلاقات المفهومية فهو "أي ارتباط بين مكونين من مكونات النص أو عالم النص يسمح لثانيهما أن ينشط هيكل المعلومات المشتركة بينه وبين الأول".(٣)

ويقسم الاستبدال عندهم إلى ثلاثة أنواع: (٤)

---

(1) لسانيات النص: ١٩، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٠، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٢٤، Cohesion in English , P .88

(2) تحليل الخطاب براون ويون: ٢٤٤.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٠.

(4) ينظر: لسانيات النص: ٢٠-٢١، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي :١٢٣-١٢٤ ،

Cohesion in English, P. 91.

- استبدال اسمي ، ويتم باستعمال العناصر: one (آخر) ، ones (آخرون) ، Sam (نفس) .
- استبدال فعلي ، ويمثله العنصر do (يفعل) .
- استبدال قولي ، ويستعمل فيه العنصران So (ذلك) ، Not (لا) وتطبيق ذلك على نصنا يطلعنا على الاستبدالات الآتية :

الاستبدال الاسمي

نجد ذلك في قوله عليه السلام "ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر"؛ فالاستمرارية الدلالية متحققة من خلال:

- وجود العنصر المستبدِل (آخر) لاحقا للمستبدَل (رجل) ، فـ (رجل) مستمرة في (آخر)، وإن كان رجلا مختلفا عن الأول ، فالأول رجل لم يظلم والآخر قد ظلم ، وهو ما يعرف لدى هاليداي وحسن بالاستمرار في محيط التقابل[1]. فإذا كانت العلاقة بين عنصري الإحالة علاقة تطابق فإن العلاقة هنا علاقة تقابل .
- شدة الحاجة في فهم المقصود إلى العودة إلى بداية الجملة لمعرفة أن المقصود (رجل آخر) .

ومن هذا النوع أيضا قوله عليه: " عشرين يوما فما دون ذلك " فالمستبدل (ذلك) والمستبدل (عشرين يوما)، ولا معنى للإشارة هنا فاسم الإشارة "تشير به إلى ما بحضرتك مادام حاضرا فإذا غاب زال عنه ذلك الاسم"[2] .

الاستبدال الفعلي

ويمثله قوله عليه السلام: " ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم "، فالعموم الذي يحمله اللفظ هنا يعادل العموم في (do) أو (يفعل) الذي وضع لهذا القسم من الاستبدال ، فهو استبدال لقوله عليه السلام " على ألفي حلة من حلل الأواقي.... " إلخ ما وضع من بنود والتزامات .

---

(1) لسانيات النص: ٢٠.
(2) شرح المفصل: ٣ / ١٢٦، وينظر الكتاب: ٤ / ٢٢٨.

تمثله كلمة (ذلك) التي وردت مرتين لمحال إليه واحد ، يشتمل على عدة أشياء وذلك في قوله عليه السلام " إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وفى كل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم " فاستبدل (ذلك) بهذه الأشياء فأغنت عن تكرارها بلفظها كما أنها ربطت بين جملتين ، فالمرجعية هنا قبلية مقالية تحقق قدرا كبيرا من التماسك ، ومع تعدد الأشياء التي مثلت المحال إليه نرى أنه لا معنى للإشارة هنا؛ إذ يلزمنا علم لغة النص حينئذ بتحديد أحدها ، يقول " حين تتقدم على صيغة الإحالة ذاك / ذلك ضميمتان اسميتان تفيان بكل الشروط النحوية لجعل عنصر تعلق ما محتملا فإن الضميمة الاسمية الأولى (الأبعد) من كلتا الضميمتين الاسميتين تكون عنصر التعلق"[١] .

والحكم يشملها جميعا ، وهذا يقوى فيها معنى الاستبدال القولي .

ولأن البدل في العربية يختلف عن الإبدال بالصورة المذكورة – أي في الإنجليزية – لأنه عندهم تمثله الألفاظ المذكورة، أما في العربية فـ " عبرة البدل أن يصلح بحذف الأول وإقامة الثاني مقامه"[٢] ، ومن ثم تتحقق الاستمرارية الدلالية؛ إذ " يجري البدل مجرى التوكيد في التحقيق والتشديد ومجرى الوصف في الإيضاح والتخصيص"[٣]، ويطلق عليه الكوفيون " التكرير " لذا رأينا استكمالا لذلك المبحث تناوله أيضا من وجهة النظر العربية ، ومنه :

---

(1) أساسيات علم لغة النص: ٣٢٤.

(2) اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حسين محمد شرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ – ١٩٧٨: ١٧٢.

(3) السابق: نفسه، وينظر شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠: ٢ / ١٩٠، أسرار العربية: ١٥٧ .

قوله عليه السلام: " محمد النبي رسول الله " فالنبي هو محمد ، ومحمد هو النبي ، وكذلك رسول الله ، وإذا قرر النصيون أن استخدام الأسماء كتعبيرات إحالية "وهي تتعلق باختيار وظيفة اجتماعية من بين الوظائف التي يشغلها المرجع .. إنما ينتفي الشخص وهو يلعب (دورا) خاصا .. ولعل نجاح العملية الإحالية – في سياق – يعتمد أساسا على حسن اختيار (الاسم) الأكثر تناسبا لتحديد شخص معين أمام سامع معين أو جمهور معين"[١].

إذا قرروا ذلك فإن "النبي" هو الاسم الأكثر تناسبا هنا أمام المتلقي، وهو ما يتناسب وما قرره النحاة العرب من أن البدل هو المقصود بالحكم ، ومثل ذلك من البدل المطابق قوله عليه السلام "هذا الكتاب".

ومن بدل البعض من الكل قوله عليه السلام: " وعليهم عارية: ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا، " فهذه المستبدِلات اللاحقة تحتاج في فهمها إلى العودة إلى الوراء لتعادل في مجموعها المستبدَل (عارية)، وقد جعل روبرت دي بوجراند " فكرة العموم والخصوص بين الأقسام الفرعية والأقسام الأعم أو الأقسام العليا .. والكلية والجزئية "[٢] من أشكال الاستبدال.

(1) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٥١.

(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٠.

المبحث الثالث

الحذف Ellipsis

الحذف ظاهرة لغوية ملموسة على مستوى الاستعمال اللغوي سواء أكان ذلك على مستوى الجملة أم على المستوى المجاوز لها ، ويعد الحديث عنه عند القدماء من نافلة القول؛ فقد عرضوا له في كثير من أبوابهم بين الواجب والجائز حتى أمكن أن يقال: "كل عنصر إسنادي يجوز حذفه إذا اقتضى الموقف الاستعمالي ذلك ... وقد يجب حذفه إلا الفاعل .. وأما ما يمكن حذفه من العناصر غير الإسنادية فلا يحذف إلا حذفا جائزا "[١] ، وقد تحدث القدماء والمحدثون عن ضرورة وجود دليل أو قرينة تدل على المحذوف ليكون الباقي بعد الحذف مغنيا في الدلالة، "وأهم القرائن الدالة على المحذوف هي الاستلزام وسبق الذكر وكلاهما من القرائن اللفظية "[٢] .

ويعرف بأنه " إسقاط لصيغ داخل النص التركيبي في بعض المواقف اللغوية، وهذه الصيغ يفترض وجودها نحويا لسلامة التركيب وتطبيقا للقواعد"[٣].

إنه "استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة "[٤]، فالبنية السطحية تكتمل بعد التقدير، ولأنه ظاهرة لا تخص لغة دون لغة فقد تحدث عنه النصيون بعبارات تشبه عبارات النحاة العرب ، فهاليداي وحسن أيضا يشترطان وجود الدليل أو القرينة فيما سمياه العنصر المفترض الذي يوجد عادة في الجملة السابقة ، فهو علاقة قبلية، و "لا يختلف

---

(1) بناء الجملة العربية: ٢١٠.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ – ١٩٩٨: ٢٢٢، وينظر: الكتاب: ١ / ٢٤، ١١٥/٢، ٣٤٥، الخصائص: ٣٦٢/٢، مغني اللبيب: ٢ / ٦٩٢ وما بعدها، بناء الجملة العربية: ٢٠٨.

(3) الحذف والتقدير في النحو العربي، د. علي أبو المكارم، دار غريب – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧: ٢٠٠.

(4) النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.

عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالا بالصفر..؛ إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء"[١]، فالفراغ البنيوي الذي يجده القارئ في الجملة الثانية يعتمد في ملئه على ما ورد في الجملة السابقة.

ويتجلى دوره في إحداث الاتساق والاستمرارية في أن القارئ يجد نفسه مضطرا إلى "العودة إلى الوراء داخل النص للبحث عن عبارة يستبدلها بها في حالة الاستبدال أو يضيفها من عنده في حالة الحذف"[٢] ، ويعده روبرت دي بوجراند من وسائل الكفاءة النصية التي تحقق مبدأ الاقتصاد وتستدعي العمليات التنظيمية لدى المتلقي .

ويقسمونه إلى: اسمي ، وفعلي ، وقولي[٣] :

- فالاسمي: يعني حذف اسم داخل المركب الاسمي .
- والفعلي: يعني حذف فعل داخل المركب الفعلي .
- والقسم الثالث: الحذف داخل ما يشبه الجملة clausal Ellipsis

واستقراء حديث القدماء والنصيين السابق يطلعنا على أن الحذف لا يسهم في إحداث التماسك إلا بقيامه على محاور ثلاثة[٤] :

- التكرار: وذلك بتقدير المحذوف .
- المرجعية: بين المذكور والمحذوف .
- القرينة: الدالة على المحذوف .

فالحذف الاتساقي هو الذي تتحقق فيه هذه الشروط ، أما الحذف الذي لا يتسم بتكرار ولا مرجعية، فلا يعتد به هنا ومنه – على سبيل المثال – حذف متعلق شبه

---

(1) لسانيات النص: ٢١ وينظر:

Crystal, D. (1987).The Cambridge Encyclopedia of Language P. 119.

(2) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣١، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٩، ١٠٠

Cohesion in English , P. 143 , 304.

(3) ينظر: لسانيات النص: ٢٢٢ ،

Cohesion in English , P .142 – 167 .

(4) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢/ ٢٢١.

الجملة في قوله عليه السلام "بسم الله" أي ابتدائي أو أبتدئ ، وفي "ما عليهم" المتعلق بمحذوف صلة الموصول ، ومثل حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في "من ذي قَبَل" أي من وقت ذي قبل .. إلخ .

وسنتناول الحذف الاتساقي هنا طبقا لهذه الشروط ، وطبقا للتقسيم السابق:

الحذف الاتساقي في فضاء المعاهدة :

حذف الاسم

المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية
(كل) بيضاء ، و (كل) رقيق	كل ثمرة ، كل صفراء	سابق	--	داخلية
على (أن يؤدوا) ألفي حلة	مقامي			خارجية
بظلم (رجل) آخر	لا يؤخذ رجل منهم	سابق	--	داخلية

حذف الفعل

المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية
(يؤدون) في كل رجب ألف حلة	مقامي	--	--	خارجية
و (يؤدون) في كل صفر ألف حلة	مقامي	-	-	خارجية
ولا (يُغير) راهب ولا (يغير) كاهن	لا يغير أسقف	سابق	-	داخلية

حذف الجملة وشبه الجملة

المحذوف	الدليل	سابق	لاحق	المرجعية
و(كان عليهم حكمه) في كل صفراء و ...	إذ كان عليهم حكمة في كل ثمرة	سابق	–	داخلية
أو (ما قضوا من) خيل أو (ما قضوا من) عروض	ما قضوا من دروع	سابق	–	داخلية
و (على نجران) متعتهم	وعلى نجران مؤنة رسلي	سابق	–	داخلية
و(ليس عليهم) دم جاهلية	وليس عليهم ربية	سابق	–	داخلية
(وإذا كان كيد بمعرة)	إذا كان كيد باليمن	سابق	–	داخلية
(وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل.. ركاب .. عروض)	وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع	سابق	–	داخلية
ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم ... ملتهم .. إلخ	ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم	سابق	–	داخلية

تحققت في هذه المواضع فكرة المرجعية التي غلب عليها كونها داخلية قبلية فاتفقت مع رؤية النصيين وكذا القدماء ، يقول ابن هشام: "إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا

أو ثانيا فكونه ثانيا أولى"[1]، كما تحقق التكرار ، فالمحذوف من لفظ المذكور ، كذا فإن الدليل مقالي في الغالب ، وكل ذلك أسهم في نسج خيوط الترابط داخل النص .

وجدير بالذكر هنا أن ظهور البنية الأساسية بصورتها الكاملة هنا يدعو إلى الركاكة والملل وانصراف المتلقي عن النص، ولنا أن نتصور تكرار الموصول وصلته مثلا أمام كل معطوف من (خيل ، ركاب ، عروض)، فـ " الاكتمال النحوي يتيح تراكيب لا فائدة فيها ولا وضوح"[2].

(1) مغني اللبيب: ٢ / ٧١١.

(2) النص والخطاب والإجراء: ٣٤١ .

المبحث الرابع

الربط Junction

يعرفه هاليداي وحسن بأنه " تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم ، ومعنى هذا أن النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطية ولكي تدرك كوحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة بين أجزاء النص"(١).

هذه العناصر – فيما يرى الباحثان – ملفوظة غالبا ، يقولان: " تظهر الروابط الأدواتية بين الجمل أكثر وضوحا؛ لأنها المصدر الوحيد لخاصية النص ، ففي مثل هذه التصريحات يبدو أنهما يتحدثان عن وحدات لغوية ظاهرة في سطح الكلام لا عن علاقات معنوية ضمنية"(٢) ، وهو ما سماه بوهوميل باليك " الربط النحوي" "ويطلق على تبعية جمل نص ما بعضها لبعض يعبر عنها بوسائل النظام اللغوي وتجعل في إمكان مستخدم اللغة أن يعرف من الشكل اللغوي وحده أن الأمر يتعلق بنص مترابط"(٣)، وقد أخذ عليهما ذلك روبرت دي بوجراند – وكذا براون ويول – فـ" هذه العلاقات المختلفة بين صور المعلومات يمكن في الغالب أن تقع دون التصريح بوسيلة الربط "(٤) ، وقد تكون العلاقات معنوية .

ويختلف الوصل عن وسائل الاتساق السابقة في أنه "لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق كما هو شأن الإحالة والاستبدال

---

(1) لسانيات النص: ٢٣، وينظر: Cohesion in English , P. 227

(2) تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٤.

(3) لغة النص نحو آفاق جديدة: ٢١٢.

(4) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٧، وينظر: تحليل الخطاب، براون ويول: ٢٣٤، ٢٦٠.

والحذف"[1]، فالمرجعية هنا غير مشروطة ، أما دوره في تحقيق الاتساق فـ " لأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل ، وجعل المتواليات مترابطة متماسكة "[2] .

والربط عن طريق الأدوات معروف عند القدماء ، منثور في أبوابهم النحوية، ومنه حديثهم عن حروف الجر ووصلها الاسم بالاسم ، والفعل بالاسم ، وعن الحروف العاطفة، والربط بواو المعية وواو الحال ، وأدوات النصب والشرط والاستثناء وغيرها.

وتتعدد أنواعه عند النصيين بتعدد وسائله، فيقسمه هاليداي وحسن إلى[3]:

- الربط الإضافي: وأدواته الواو، أو، بالمثل، أعني، بتعبير آخر، مثلا، نحو... إلخ .
- الربط العكسي: ويعني على عكس ما هو متوقع وأدواته:
  Nevertheless , but , yet , however .
- الوصل السببي: يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، ويشمل علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط ، ويعبر عنه بعناصر مثل: therefore , hence , thus , so .
- الربط الزمني: يجسد العلاقة بين أطروحتي جملتين متتابعتين زمنيا ، وأبسط تعبير عن هذه العلاقة هو then .

ويقسمه بوجراند[4] إلى أربعة أنواع هي: مطلق الجمع ، والتخيير ، والاستدراك ، والتفريع ، وفحوى هذه الأنواع لا تخرج عما وضعه هاليداي وحسن .

---

(1) لسانيات النص: ٢٢.

(2) السابق: ٢٤.

(3) ينظر لسانيات النص: ٢٣ – ٢٤.

(4) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠١، ٣٠٢، ٣٤٧.

الربط في فضاء المعاهدة

١ – الربط الإضافي :

الحرف	الإشراك بين المفردات	الإشراك بين الجمل وأشباه الجمل
الواو	– صفراء وبيضاء ورقيق – مؤنة رسلي ومتعتهم – ثلاثين درعا ، وثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا . – باليمن ومعرة . – جوار الله ، وذمة محمد –على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم –ولا راهب .. ولا كاهن – ولا دم جاهلية –غير ظالمين ولا مظلومين –ما نصحوا وأصلحوا –أبو سفيان وغيلان ومالك والأقرع والمغيرة	–كان عليهم حكمه في كل ثمرة وفى كل صفراء –وترك ذلك كله لهم . –وفى كل صفر ألف حلة . –وما قضوا من دروع أو خيل.. –وعلى نجران مؤنة رسلي . – وعليهم عارية . –وما هلك مما ... –ولنجران وحاشيتها. –وليس عليهم ربية . –ولا يحشرون ولا يعشرون . –ولا يطأ أرضهم جيش –ومن سأل منهم حقا . –ومن أكل ربا –ولا يؤخذ رجل –وعلى ما في هذا الكتاب ... –وكتب لهم .
أو	– دروع أو خيل أو ركاب أو عروض – من قليل أو كثير	– زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي
الفاء		–فأفضل ذلك عليهم . –فما زادت على الخراج . –فما دون ذلك.

جاءت صور الربط الإضافي عن طريق وسائله الواو ، و أو ، والفاء ، وكلها من الحروف التي تشرك التابع مع المتبوع لفظا ومعنى فتقوم بـــ " الدور العظيم في ترابط المعطوف بالمعطوف عليه ... على سبيل الموافقة في الحكم إثباتا أو نفيا أو المخالفة فيه"[١] ، ويتجلى دورها في الربط إضافة إلى ذلك في أنها تحقق الاتساع والاقتصاد في آن واحد ، فالاتساع عن طريق الجمع بين هذه المتعاطفات وضمها لتشكيل النص واستمراريته، أما الاقتصاد فيتمثل في " اختصار العامل واشتراك الثاني في تأثير العامل الأول، فإذا قلت: قام زيد وعمرو فأصله: قام زيد قام عمرو"[٢]، فأغنت عن تكراره، هذا فيما يخص عطف المفردات .

والملاحظ في عطف المفردات أيضا أنها يربطها معنى عام " وغالبا ما يكون العنصر الثاني متوقعا من القارئ ضمن إطاره المعنوي ، أما الإطار اللفظي فهو ميدان المبدع واختياراته الخاصة وتفرده في إيصال المعنى الذي وإن بدا مفهوما غير أنه يزداد اكتمالا واتضاحا بالإشراك "[٣] ، والرجوع إلى المتعاطفات السابقة يؤكد ذلك فعلى سبيل المثال "صفراء وبيضاء ورقيق، مؤنة رسلي ومتعتهم ، دروع أو خيل أو ركاب أو عروض، قليل أو كثير" .

أما عطف الجمل فيمثل الاتساق والاستمرارية على المستوى المجاوز للجملة، وهو الأصل في الترابط النصي؛ سواء أكان الحرف للعطف أم للاستئناف و "الغرض من عطف الجمل ربط بعضها ببعض واتصالها والإيذان بأن المتكلم لم يرد قطع الجملة الثانية من الأولى ، والأخذ في جملة أخرى ليست من الأولى في شيء"[٤] .

بل يتجاوز الربط هنا مستوى الجملتين إلى الربط بين الفقرات على نحو ما نجد في قوله عليه السلام: " وعليهم عارية ، ولنجران وحاشيتها ، ومن أكل ربا... ".

---

(1) بناء الجملة العربية: ١٥٦ – ١٥٧، وينظر: مقالات في اللغة والأدب: ١/ ١٨٥ – ١٨٦.

(2) شرح المفصل: ٣/٧٥.

(3) قصة حبة قمح لهاشم غرايبة، دراسة لسانية دلالية، نهلة عبد العزيز الشقران، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد التاسع والخمسون، يونيه، ٢٠١٦: م١ / ٩٣.

(4) شرح المفصل: نفسه.

٢ – الربط العكسي :

يقترب بمفهومه وبأدواته المذكورة عند هاليداي مما سماه روبرت دي بوجراند الاستدراك الذي يربط " على سبيل السلب صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة التعارض"[١] .

وهذا المفهوم يجسده قوله عليه السلام: "على ألفي حلة من حلل الأواقي" بعد قوله: "فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم "؛ فعلاقة التعارض التي أفادها الحرف (على) واضحة ، وقد أثبت ابن هشام لـــ "على" هذا المعنى ، فقال: إنها قد " تكون للاستدراك والإضراب كقولك: فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه على أنه لا ييأس من رحمة الله تعالى"[٢] .

٣ – الربط السببي :

يجسده في النص بمفهومه المذكور وبأدواته السابقة العلاقات الآتية :

أ – علاقة السبب والنتيجة :

ويمثلها قوله عليه السلام: "هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (إذ) كان عليهم حكمه" .

فالرابط بين الجملتين الممثلتين للعلة والمعلول هنا هو (إذ) ، والتعليل أحد معانيها وإن كان لا يفقدها معنى الظرفية[٣] .

ومنه قوله عليه السلام: " وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد"، أي: ولما في هذا الكتاب ، والتعليل أحد معانى (على) ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة / ١٨٥] ، أي لهدايته إياكم"[٤] .

---

(1) النص والخطاب والإجراء: ٣٤٧.

(2) مغني اللبيب: ١/١٦٦.

(3) ينظر السابق: ١/٩٦.

(4) السابق: ١ / ١٦٤.

ب – علاقة الشرط وما يشبهه :

اتسم النص بكثرة "ما " و"من" الموصولتين اللتين تشبهان الشرط أو الشرطيتين ، وعليه فإنهما يقتضيان رابطا لربط الخبر بالمبتدأ الذي يشبه الشرط أو لربط الجواب بالشرط، والرابط هنا تمثله الفاء – والسببية أو الترتب من معانيها–[١] وذلك في المواضع الآتية:

- فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي (فبالحساب) .
- وما هلك مما أعاروا رسلي .. (فهو) ضمين على رسلي .
- ومن سأل منهم حقا (فبينهم) النصف .
- ومن أكل ربا من ذي قبل (فذمتي) منه بريئة .

كما قامت "إذا" أيضا بالربط من ذلك النوع في قوله عليه السلام: "وعليهم عارية.. إذا كان كيد باليمن ومعرة"، ويلاحظ في هذه التراكيب "إفادة ترتب الجواب على الشرط، وفي إفادة الترتب ربط بين عنصري الجملة "[٢].

٤ – الربط الزمني :

إذا كانت جملتاه متتابعتين زمنيا فإن ما يجسده هنا هو قوله عليه السلام " في كل رجب ألف حلة ، وفى كل صفر ألف حلة "، وإذا كان الزمن الموضوعي يقتضي سبق "صفر" ، ليحدث التتابع إلا أن لكل نص عالمه ، فهو رهن بالزمن الذاتي الذي كتب فيه النص .

وإذا كان هذا النوع من الربط له أدواته وأبسطها (then) على ما ذكر ، فإن الأداة هنا لم تذكر ولا يشترط ذكرها ، فالاستغناء عن ذكر الرابطة والاستنتاج بواسطة العلاقات غير الملحوظة هي صلاحية تميز اللغات الطبيعية عنها في لغة المنطق، كما يقول روبرت دي بوجراند[٣] .

---

(1) ينظر: بناء الجملة العربية: ٩٦ – ٩٧.
(2) مقالات في اللغة والأدب: ١ / ١٧٨.
(3) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٥١.

الفصل الثاني

السبك المعجمي وأثره في تماسك النص

المبحث الأول: التكرار Recurrence

درج الباحثون على تقسيم هاليداي وحسن للاتساق المعجمي إلى نوعين :

أ – التكرار. ب – التضام .

أما التكرار فقد عرض له النصيون بوصفه أحد وسائل السبك المعجمي ، وعندما حاولوا وضع حد له جاء ذلك مقترنا بأنواعه؛ إذ لا يقتصر التكرار عندهم على مجرد الإعادة، كما قد يتوهم لكنه " شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"[١]، والعنصر المكرر قد يكون بـــ " إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة "[٢] بالطرق المذكورة .

أما دوره في تحقيق التماسك فواضح، ذلك أنه "أظهر وسائل السبك وأدناها إلى الملاحظة المباشرة"[٣]، بل هو الأصل في الربط – كما يقول الدكتور تمام حسان – لأنه "أدعى للتذكير وأقوى ضمانا للوصول إليه "[٤]، وأنه إذا عُدل عنه فإنما يعدل كراهية الرتابة والإملال أو تحقيقا لمبدأ الاختصار ومراجعة وسائل الاتساق السابقة كالإحالة والاستبدال والحذف توضح أن كلا منها ينطوي على نوع من التكرار .

ويؤدي إلى تحقيق التماسك "عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص حتى آخره "[٥]، وكما هو الحال في معظم وسائل الاستمرارية النصية " تتطلب إعادة اللفظ

---

(1) ينظر لسانيات النص: ٢٤، وينظر: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦ .
(2) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ٢٠.
(3) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٧.
(4) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠: ١ / ١٢٨.
(5) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢٢/٢.

وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد "[١]؛ لذا يعده بعض النصيين نوعا من الإحالة بالعودة ويطلق عليه الإحالة التكرارية، و" تتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من النص قصد التأكيد "[٢] .

والتكرار من الروابط التي انتبه إليها القدماء ، فقد ارتبط "في التراث النحوي بالتوكيد اللفظي ، وفي التراث البلاغي بالتوكيد لنكتة: كتأكيد الإنذار أو الإيغال أو زيادة المبالغة أو غير ذلك مما نص عليه البلاغيون"[٣] ، وقد ذكره ابن هشام[٤] – على سبيل المثال – في روابط الجملة بما هي خبر عنه فجعل ثالث هذه الروابط إعادة المبتدأ بلفظه، ورابعها إعادته بمعناه .

ويثبت له النصيون أنواعا متعددة[٥] يمليها عليهم الاستعمال اللغوي منها التكرار الكلي، والجزئي، والتكرار بالمرادف، وشبه المرادف، وبالاسم العام أو العنصر المطلق– كما سماه هاليداي وحسن– والتكرار القضوي، وشبه التكرار، والتكرار الجراماتيكي أو ما يعرف بتكرار النمط النحوي .. إلخ .

واستقراء نصنا يوقفنا على العديد من هذه الأنواع على النحو الآتي :

التكرار في فضاء المعاهدة

١ – التكرار الكلي (المحض) :

ويسمى التام أيضا؛ إذ إنه "إعادة أعيان الألفاظ"[٦] سواء أكانت لفظة مفردة أم عبارة أم جملة ... إلخ ، ومنه في النص :

---

(1) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٣.
(2) نسيج النص: ١١٩.
(3) نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٥٧.
(4) ينظر مغني اللبيب: ٢ / ٥٧٥.
(5) ينظر في ذلك: النص والخطاب والإجراء: ٣٠١ – ٣٠٦، لسانيات النص: ٢٤، نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٥٨، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١٠٦ – ١٠٧ .

Cohesion in English , P. 3 – 10.

(6) نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٥٧.

التكرار الكلي	اللفظ أو العبارة أو الجملة
لفظة	ذلك (مرتين) – رسلي (٤ مرات) – هذا الكتاب (مرتين).
عبارة	– بالحساب (مرتين) .
	– من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض (مرتين) .
	– محمد النبي رسول الله (ثلاث مرات)
	– جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله (مرتين)

ويلاحظ على هذه التكرارات :

– اتحاد المرجع مما يؤدي إلى صنع الاتساق على عكس المشترك اللفظي ذي الدلالات المختلفة؛ إذ قد يؤدي إلى التضارب إن لم يشفع بالقرائن، ولم يختل ذلك إلا في موضع واحد هو "من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض"، فهذه الأشياء عند ذكرها الأول أريد بها تأدية الخراج إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعند الذكر الثاني هي أشياء تؤدى إلى نجران بوصفها هالكة من العارية المذكورة وعلى المسلمين ردها إليهم.

– أن من فوائد التكرار هنا " أمن اللبس"[1]. فتكرار كلمة "رسلي" في قوله عليه السلام: "وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضمين على رسلي" يحقق ذلك لأنه لو أضمر وقال فهو ضمين عليهم لاحتمل الضمير العودة إلى الرسل والعودة إلى فاعل "أعاروا" وهم أهل نجران .

– أن من أغراضه أيضا الاهتمام والتخصيص، ففي تكرار "محمد النبي رسول الله" إبراز للذات التي هي محور القول ولفت للانتباه ، فقد يخضع هؤلاء ويقرون بوجود الله الواحد وبنبيه عليه السلام .

(1) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١/١٣٥.

٢ – التكرار الجزئي Paratial recurrence

تتعدد صوره، فقد "يقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ، ولكن في أشكال وفئات مختلفة "[١] ، وقد يعني إعادة أصل البنية مع وجود بعض جوانب الاختلاف في شكل الصيغة ومن ثم في الدلالة[٢] ، فالمادة المعجمية واحدة ، وهو ما نستطيع تسميته بالتكرار الاشتقاقي؛ إذ يتطلب الاحتفاظ بأصل البنية مع إقحام بعض التغييرات التي تؤدي إلى تغيير دلالي .

ومن الأول التكرارات الآتية :

– بسم الله – رسول الله – صلى الله – جوار الله – يأتي الله بأمره .

– كل ثمرة – كل صفراء – كل رجب – كل صفر – كل حلة – كل ما تحت أيديهم.

– ألفي حلة – حلل الأواقي – ألف حلة – كل حلة – ألف حلة .

– حلل الأواقي – أوقية – الأواقي .

– ثلاثين درعا – ثلاثين فرسا – ثلاثين بعيرا .

– أهل نجران – على نجران – لنجران .

ويلاحظ في العنصر المكرر الميل إلى تحقيق المظهر النحوي للثبات، فاسم الجلالة – على سبيل المثال – لم يرد إلا مضافا إليه – في ستة مواضع –أو فاعلا – في موضعين– ، وكلمة "كل" وردت مجرورة في كل مواضعها عدا موضعا واحدا ، وكلمة " ثلاثين " لها الإعراب نفسه ... إلخ، على الرغم من أنه " يمكن لإعادة اللفظ أن تستعمل مع انتقال الوظيفة النحوية لعبارة ما ويكيف العنصر المكرر بكيفية بيئته السياقية "[٣] ، لكنه الاتساق وإحكام النسج في لغة من لا ينطق عن الهوى .

---

(1) نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٥٨.

(2) ينظر: التكرار وتماسك النص، جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب، ٢٠٠٨: ١٢٢.

(3) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٥.

ومن التكرار الاشتقاقي :

العناصر المكررة	المادة
الرحمن ، الرحيم	رحم
كتب ، الكتاب	كتب
عارية ، أعاروا	عور[1]
أسقف ، أسقفيته	سقف
راهب ، رهبانيته	رهب
كاهن ، كهانته	كهن
ظالمين ، مظلومين ، ظلم	ظلم

ويرى بعض النصيين أن التكرار الكلي "وسيلة للسبك والحبك في آن معا، أي: أنه يكون فعالا في ظاهر النص وفي عالم النص ، أما التكرار الجزئي فيفعل فعله في الظاهر أصالة وفي عالم النص بالتبعية "[2] .

٣ – التكرار بالمرادف أو شبه المرادف :

هذان النوعان مما أثبته هاليداي وحسن على ما تقدم ، وواضح أنهما يقومان على جانب دلالي ويشير روبرت دي بوجراند إلى أن فائدة ذلك النوع من التكرار – إلى جانب إسهامه في إحداث الترابط المفهومي– تجنب الرتابة التي قد تنتج عن مجرد التكرار فـ "من صواب طرق الصياغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات "[3] ، ومن ذلك :

(1) "العارية مشددة وقد تخفف والعارَة ما تداولوه بينهم .. واعتوروا الشيء وتعوّروه وتعاوروه تداولوه"، القاموس المحيط: ٢ / ١٠١ (عور)، وينظر مقاييس اللغة: ١٨٤/٤.
(2) نحو أجرومية للنص الشعرى: ١٥٨.
(3) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

نوع التكرار	اللفظ أو العبارة أو الجملة
المترادف	- فأفضل ذلك عليهم – وترك ذلك كله لهم . - ضمين على رسلي – يؤدوه إليهم . - حقا – النَّصف . - غير ظالمين ولا مظلومين – غير مثقلين بظلم
شبه المترادف	- الله – الرحمن – الرحيم . - محمد – النبي – رسول الله . - مؤنة – متعة .

٤ – شبه التكرار :

"وهو يقوم في الذهن على التوهم؛ إذ تفتقد العناصر فيه علاقة التكرار المحض، كما تفتقد في الوقت نفسه العلاقة الصرفية القائمة على الاشتقاق أو تغاير صرفيمات الإعراب ... ويتحقق شبه التكرار غالبا في مستوى التشكيل الصوتي ، وهو أقرب شيء إلى ما سماه الإمام السكاكي الجناس المحرف بأنواعه"[1] .

ومنه في النص التكرارات الآتية :

- ربِّيّة – ربا – بريئة .
- يحشرون – يعشرون .
- ذي – ذمتي .
- كان – كيد .
- مؤنة – متعة .

والملاحظ على هذا النوع عدم ارتباطه بمعنى ، فالرابط صوتي لفظي لا غير، ولذا فإن دوره في صنع الاتساق يتمثل في " الميل إلى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ

(1) نحو أجرومية: ١٥٨، وينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٠.

تحدث ميلا وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه"[1] .

٥ – التكرار بالاسم العام أو العنصر المطلق :

وهو اصطلاح هاليداي وحسن على هذا النوع ، وقد مثلا له بالمثال الآتي[2] :

شرعت في الصعود إلى القمة العمل سهل للغاية

الشيء

هو

ويمثل هذا النوع في نصنا قوله عليه السلام :

"وما هلك ... (فهو) ضمين على رسلي ... "، فهذا اللفظ العام يمثل إحالة تكرارية بالعودة إلى ما سبق .

٦ – تكرار النمط النحوي "التكرار الجراماتيكي" :

وهو تكرار لنظم الجمل بكيفية واحدة ، أي تكرار للطريقة التي تبنى بها الجملة وشبه الجملة مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل[3]، وهو قريب مما سماه القدماء "الترصيع" إلا أن الترصيع يقتضي السجع ، فـ " الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الأعجاز أو متقاربتها كقوله عز اسمه: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ (الغاشية / ٢٥ – ٢٦)"[4]، أما تكرار النمط النحوي فلا يشترط فيه السجع.

ويمثل هذا النوع من التكرار في النص أربعة أنماط لنظم الجملة، تمثل النص في مجموعها :

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢٧١.

(2) ينظر: لسانيات النص: ٢٤.

(3) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢١٣، الفواصل القرآنية، د. السيد خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠: ٢٩.

(4) مفتاح العلوم، السكاكي، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧: ٤٣١، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣ / ٣١١ .

النمط الأول :

وتمثله الجملة الاسمية – أو الاسمية المنسوخة – التي يتقدم فيها الخبر شبه الجملة المكون من الجار والمجرور خاصة على المبتدأ (أو ما أصله المبتدأ في حال الجملة المنسوخة) فيكون التركيب على النحو الآتي :

شبه جملة متقدم (جار ومجرور) + المبتدأ (أو ما أصله المبتدأ) .

ومن ذلك الجمل الآتية :

كان عليهم حكمه ، في كل رجب ألف حلة ، في كل صفر ألف حلة ، على نجران مؤنة رسلي ، وعليهم عارية ، ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وليس عليهم ربية ، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله .

النمط الثاني:

وتمثله الجملة الاسمية التي يقع المبتدأ فيها (ما أو مَنْ) الموصولتين اللتين تشبهان الشرط ، فيأتي الخبر غالبا مقرونا بالفاء ، ويكون التركيب على النحو الآتي :

(موصول مشترك يشبه الشرط: ما أو مَن) + جملة الصلة فعلية فعلها ماض + خبر مقرون بالفاء غالبا.

فمن ذلك :

- فما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبالحساب .
- وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أُخذ منهم بالحساب .
- وما هلك مما أعاروا رسلي ... فهو ضمين على رسلي ..
- ومَن سأل منهم حقا فبينهم النصف .
- ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة .

النمط الثالث :

الجملة الفعلية المسبوقة بنفي أو نهي ، وتركيبها على النحو الآتي :

نفي أو نهي + المضارع المبني للمجهول + نائب الفاعل ، ومنها :

- ولا تُحبس رسلي فوق شهر .

- لا يُغير أسقف من أسقفيته .
- ولا يُحشرون .
- ولا يُعشرون .
- ولا يُؤخذ رجل منهم بظلم آخر .

وقريب من ذلك لا يخالف إلا في البناء للمعلوم قوله عليه السلام: ولا يطأ أرضهم جيش .

النمط الرابع :

الجملة الفعلية المثبتة المكونة من الفعل الماضي وفاعله (ظاهرا أو مستترا) ثم المفعول به إذا كان الفعل متعديا متبوعا بشبه الجملة غالبا ، ومنها:

- فأفضل ذلك عليهم ، وترك ذلك كله لهم ، زادت على الخراج ، نقصت عن الأواقي ، شهد أبو سفيان .. ، كتب لهم هذا الكتاب عبد الله ... .

ومن التكرار الجراماتيكي كذلك تشابه نظم نهايات الجمل ، ومنه :

- حتى يؤدوه إليهم – حتى يأتي الله بأمره .
- غير ظالمين ولا مظلومين – غير مثقلين بظلم .

٧ – التكرار القضوي :

ويعني تكرار قضية معينة يراد إبرازها للمتلقي وتستأثر باهتمام الكاتب فتعاود الظهور بجمل وعبارات مختلفة ، فالاستمرارية هنا دلالية؛ حيث تستعيد معنى معينا إلى ذاكرة المتلقي بهدف ترسيخه في ذهنه ، وهو ما عبر عنه روبرت دي بوجراند بأنه " الإشارة إلى الأحداث المكررة"[1]، والمكرر هنا قضيتان تستـــأثران بجمل النص وفقراته فتضعانه بين قوسين، والقضيتان موجهتان إلى أهل نجران وهما: تحديد ما لهم، وما عليهم على النحو الآتي:

(1) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٥.

- القضية	- الجمل والفقرات
ما لهم	- فأفضل ذلك عليهم وترك ذلك كله لهم . - ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على... - وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله.
ما عليهم	- على ألفي حلة من حلل الأواقي ، في كل رجب ... - وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم . - وعليهم عارية ... - ما نصحوا وأصلحوا (ما عليهم)

المبحث الثاني: المصاحبة المعجمية Collocation

تعرف بأنها "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة؛ نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك "[١] ، وقد عرفها فرانك بالمر قريبا من ذلك ، فهي "إمكانية تعرف الكلمة من خلال قرينتها"[٢]، ويقترب هذا المفهوم مما يسمى عند النصيين بالرصف أو توافق الوقوع ، ويعرف عندهم بأنه "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة"[٣]، وهو أحد اتجاهات نظرية السياق الذي يهتم خاصة بالسياق اللفظي؛ ففي حين يعالج التحليل النحوي "مجموعات الكلمات (اسم/ فعل/ صفة) التي تحوي آلاف الكلمات التي ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية يعالج الرصف الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية"[٤].

(1) لسانيات النص: ٢٥، وينظر: قصة حبة قمح لهاشم غرايبة، دراسة لسانية: ١٦٩.
(2) مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧: ١٦٩.
(3) Ullman, S .(1973). Meaning and style, , Oxford ,P. 10.
(4) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨: ٧٧.

وجدير بالذكر أن المصاحبة اللفظية بمفهومها السابق قد عُرفت عند القدماء خاصة البلاغيين، يقول الجاحظ: "وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل: الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس"(١).

وقد عرض البلاغيون لهذه العلاقات تحت عناوين متعددة، أهمها :

- "المطابقة وهي أن تجمع بين متضادين ...
- ومنه المقابلة وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما..
- ومنه المشاكلة وهي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته...
- ومنه مراعاة النظير وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات"(٢) .

ولم ينأ النصيون كثيرا عن هذه العلاقات في تناولهم للمصاحبة المعجمية و "العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة التعارض مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد / بنت ، جلس / وقف ، أحب / أكره، الجنوب / الشمال ، أمر/ خضع .. إلخ ، إضافة إلى علاقة التعارض علاقات أخرى مثل: الكل – الجزء، أو الجزء – الجزء ، أو عناصر من نفس القسم العام: كرسي ، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز)" (٣) .

وينطوي التضاد على عدة أنواع منها الحاد ، والمتدرج ، والعكس ، والتضاد الاتجاهي(٤).

ومن علاقات المصاحبة كذلك التنافر، وهو "مرتبط بفكرة النفي مثل التضاد ، ويتحقق داخل الحقل الدلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) .. وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس ... ومثل العلاقة بين الألوان...

---

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، ٢٠٠٣: ١ / ٢٠، ٢١.
(2) مفتاح العلوم: ٤٢٣ – ٤٢٤.
(3) لسانيات النص: ٢٥ وينظر: علم الدلالة: ٩٨ وما بعدها، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٢ / ١٤٨ – ١٤٩.
(4) ينظر: علم الدلالة: ١٠٢ – ١٠٤، مدخل إلى علم الدلالة: ١٤٤ وما بعدها .

ويدخل تحت التنافر ما يسمى بعلاقة الرتبة .. مثل: ملازم – رائد – مقدم.

كما يدخل فيه ما يسمى بالمجموعات الدورية .. مثل الشهور والفصول وأيام الأسبوع" [1].

ونعرض الآن للنص في ضوء هذه العلاقات :

العلاقة الاتساقية	العنصر الاتساقي	ملاحظات(٢)
التضاد الحاد	١- هلك– ضمين ٢- غائبهم– شاهدهم.	نفي أحد عضوي التقابل هنا يعني الاعتراف بالآخر.
التضاد المتدرج	١–زادت– نقصت. ٢– قليل – كثير	النقيضان هنا قد يكذبان معا، فإنكار أحدهما لا يعني الاعتراف بالآخر.
التضاد الاتجاهي	١– لا يحشرون – ولا يطأ أرضهم جيش ٢– أعار– ضمين	المتضادات من هذا النوع يجمعها حركة في أحد اتجاهين متضادين بالنسبة لمكان ما مثل يصل – يغادر.
العكس / القلب	١–غير ظالمين ولا مظلومين	هذا النوع إذا وقع بين طرفين فإن أحدهما يفرض علينا دلالة الآخر مثل باع / اشترى، فقولنا باع محمد لعلي يعني أن عليا قد اشترى من محمد.
التنافر	١–بيضاء– صفراء ٢–أسقف– راهب – كاهن . ٣–رجب – صفر	– من الألوان وإن قصد بهما الذهب والفضة. – من علاقة الرتبة . – من المجموعات الدورية.
الكل– الجزء أو العكس	١–ألفي حلة – ألف حلة . ٢–عشرين يوما – شهر	
عناصر من نفس القسم العام (ألفاظ	١– ثمرة – صفراء – بيضاء – رقيق .	– متعلقات ما يكون فيه الحكم . – متعلقات الخراج .

(1) السابق: ١٠٥ – ١٠٦.

(2) ينظر في ذلك: علم الدلالة: ٩٨ وما بعدها، مدخل إلى علم الدلالة: ١٤٤ وما بعدها.

تنتمي إلى مجموعات)	٢- دروع ، خيل، ركاب، عروض. ٣- درع – فرس – بعير	– متعلقات العارية.

هذه المتصاحبات داخل النص تؤدي إلى توالده ، وتكاثف دلالاته وتماسكه "على أن إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائما أمرا هينا .. لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدا على حدسه اللغوي وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك. وهذا يعني أننا لا نتوفر على مقياس آلي صارم يجعلنا نعتبر هذه الكلمة أقرب إلى هذه المجموعة أو تلك"(١)، فاستدعاء هذه المتصاحبات بعضها بعضا لدى ذهن المتلقي يمثل نوعا من ارتباطه بالنص واستمرارية النص لديه؛ إذ "يتجه إلى اعتبار أحد المتقابلين في التضاد ذا معنى إيجابي ، والآخر ذا معنى سلبى"(٢)، وهكذا نجد لكل ثنائية آلية تربطه بالنص .

(1) لسانيات النص: ٢٥.

(2) علم الدلالة: ١٠٥.

الخاتمة :

هذه هي أهم النتائج التي كشفت عنها الدراسة :

- نحو الجملة يمثل تفرد اللغة في قواعدها ومثاله الإعراب في العربية ، ونحو النص يمثل عولمة النحو؛ إذ يمكن تطبيقه على أية لغة ، ومثاله مسائل السبك من الإحالة والحذف والتكرار ... الخ .
- القدماء ليسوا بمنأى عن وسائل الترابط ودورها في خلق النص فلديهم أصول راسخة فيما يتصل بكل رابطة وإن جاء تناولهم لها على مستوى الجملة .
- العنصر المفترض هو أساس عملية الربط في معظم وسائله ، والأصل في الربط إعادة اللفظ ، وإنما يعدل عنه اختصارا وكراهية الإملال.
- الوظيفة النحوية لصيغ الإحالة وعناصر التعلق لا تمثل جزءا من الحجاج لقاعدة إحالة، فلا يمكن أن نستنتج الوظيفة النحوية لعنصر التعلق من مثيلتها لصيغة الإحالة.
- للنص المكتوب خصائص ينماز بها من نظيره المنطوق ، وقد تجلى ذلك فيما يتصل بموضوع دراستنا في غلبة الإحالة بضمير الغائب على غيره من الضمائر، بل وعلى وسائل الربط نظرا لغلبة لغة السرد على لغة الحوار.
- نجاح الإحالة في اتحاد المرجع والمفهوم لدى كل من المتكلم والمتلقي، ولا يشترط تطابق صفات العائد مع صفات مرجعه، فالتطابق في الجنس والعدد، وقد يختلف المضمون بعض الشيء.
- ما زال نحو النص بحاجة إلى تقعيد وتقنين، فعلى الرغم من وضع معايير النص السبعة إلا أنهم يرون أن لكل نص عالمه، وأن قواعده تنبعث من داخله، وهذا ينتج لنا أنحاء بعدد النصوص.
- ينبغي إعادة النظر في دور الإحالة الخارجية في ترابط النص فهي تقدم استمرارية دلالية عن طريق إعمال ذهن المتلقي في البحث عن مراجعها.
- التوقف دون الإكمال في مظهريه الحذف والاستبدال لا يسبب فشلا في الاتصال ، بل يستدعي العمليات التنظيمية لدى المتلقي فيزداد ارتباطه بالنص.

- التعدد الإحالي من سمات النص المتماسك ، أما التعدد المرجعي فقد يحدث اضطرابا وإلباسا .
- يكون التعبير محيلا إذا وقع في تركيب لا يصلح أن يكون جملة افتتاحية لا تسبق بغيرها.
- ارتباط العنصر بالسابق أقوى في إحداث التماسك من ارتباطه باللاحق ، وكلاهما يفوق الارتباط بما هو خارج النص .
- صيغ الإحالة مؤكدات تغني عن تكرار مراجعها ، وموجهات توجه المتلقي في أي اتجاه يبحث عن مفسرها .
- يثير الربط نوعين من أنواع النشاط العقلي هما التعرف والتذكر .
- اتسم النص بالمدى الإحالي البعيد الذي يقع بين الجمل المتصلة أو المتباعدة، وهذا يؤكد مدى ارتباطه وتماسكه ، أما المدى القريب الذى يجري داخل الجملة الواحدة فلا يعتد به كثيرا في الاتساق .
- تقوم علاقات المصاحبة في معظمها على التعارض والتضاد والتنافر .
- ينتمي مفهوم التماسك إلى مجالي الفهم والتفسير اللذين يناط بهما المتلقي ، فهو المنتج الثاني للنص والمتفرد بالحكم على تماسكه .
- استوعب نص المعاهدة – على قصره – كافة أشكال السبك مما يثبت صحة نظرية نحو النص ، وقد أثبتت الدراسة أن أثر أدوات التماسك لم يقتصر على الربط الظاهر، بل تعداه إلى ترابط النص دلاليا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع :

١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٦.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث – القاهرة، د.ت.

٣- الإحالة وأثرها في دلالة النص وتماسكه ، د. محمد يونس ، مجلة الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد السادس، المحرم – ربيع أول ١٤٢٥هـ – أبريل– يونيه ٢٠٠٤.

٤- أساسيات علم لغة النص ، مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه، كلماير وآخرون، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

٥- أسرار العربية ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٧م.

٦- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، ١٤١٨ – ١٩٩٧.

٧- بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية، تحقيق: هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية – القاهرة ، د.ت.

٨- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة ، الكويت ، أغسطس، ١٩٩٢.

٩- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ – ١٩٩٦.

١٠-البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.

١١-البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق: عبد السلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ، ٢٠٠٣.

١٢-تحليل الخطاب تأليف ج. ب. براون ، ج. يول ، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفى الزليطي ، د. منير التريكي ، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، ١٤١٨ – ١٩٩٧م.

١٣-تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة ، دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم ، د. محمود عكاشة ، دار النشر للجامعات ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٥ – ٢٠١٤.

١٤-تفسير القرطبي ، علق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي ، خرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦ – ٢٠٠٥.

١٥-التكرار وتماسك النص ، جودة مبروك محمد، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٨.

١٦-الحذف والتقدير في النحو العربي ، د. علي أبو المكارم ، دار غريب – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧.

١٧-الخصائص ، ابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، د.ت

١٨-دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقعيدها، لطيفة إبراهيم النجار، دار البشير – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ – ١٩٩٤.

١٩-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، ١٤١٩، ١٩٩٨.

٢٠-شرح التصريح على التوضيح ، خالد الأزهري ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

٢١-شرح كافية ابن الحاجب ، بدر الدين بن جماعة ، تحقيق: د. محمد محمد داود ، دار المنار ، القاهرة ، د.ت.

٢٢-شرح المفصل ، ابن يعيش ، مكتبة المتنبي ، د.ت.

٢٣-علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الطبعة الخامسة ، ١٩٩٨.
٢٤-علم لغة النص، نحو آفاق جديدة ، نقلها إلى العربية: د. سعيد حسن بحيرى ، مكتبة زهراء الشرق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧.
٢٥-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية في السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١ – ٢٠٠٠.
٢٦-فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور الثعالبي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت.
٢٧-الفواصل القرآنية ، د. السيد خضر ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠.
٢٨-في اللسانيات العربية المعاصرة ، دراسات ومثاقفات ، د. سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤.
٢٩-القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار الجيل – بيروت ، د.ت.
٣٠-قصة حبة قمح لهاشم غرايبة، دراسة لسانية دلالية، نهلة عبد العزيز الشقران ، مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة، العدد التاسع والخمسون، المجلد الأول ، يونيه ، ٢٠١٦.
٣١-قواعد الربط وأنظمته في العربية، ونظريات الربط اللغوية الحديثة، د. حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨.
٣٢-كتاب الألفاظ والأساليب ، مجمع اللغة العربية ، ما نظرت فيه لجنة الأصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، وعرض على مجلس المجمع ومؤتمره ، من الدورة الخامسة والثلاثين إلى الدورة الحادية والأربعين، أعد المادة والتعليق عليها: محمد شوقي أمين، مصطفى حجازي.
٣٣-الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
٣٤-لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

٣٥-اللمع في العربية، ابن جني، تحقيق: حسين محمد شرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ – ١٩٧٨.

٣٦-مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، جمعها: محمد حميد الله، دار النفائس – بيروت، الطبعة السادسة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٣٧-مدخل إلى علم الدلالة، فرانك بالمر، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، مكتبة العروبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

٣٨-مغني اللبيب، ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت، ١٤١٦ – ١٩٩٦.

٣٩-مفتاح العلوم، السكاكي ، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

٤٠-مقالات في اللغة والأدب ، د. تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦.

٤١-مقاييس اللغة، ابن فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل – بيروت ، د.ت.

٤٢-المقتضب ، أبو العباس المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٤٣-نحو أجرومية للنص الشعري ، دراسة في قصيدة جاهلية ، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد العاشر ، العددان ١ ، ٢ ، يوليو ، أغسطس ، ١٩٩١.

٤٤-نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م.

٤٥-نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣.

٤٦-النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ – ١٩٩٨.

٤٧-همع الهوامع، السيوطي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، د. ت.

٤٨-وقفة مع قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عرض وتوجيه ونقد ، الجزء الثالث، د. عبد العظيم فتحي خليل ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤.

49- Crystal, D. (1987).The Cambridge Encyclopedia of Language.

50- Halliday (M.A.K) and Ruqaya Hassan , (1976) Cohesion in English, Longman, London.

51- Levinson , S. C (1983): Pragmatics. Cambridge University press.

52- Ullman, S .(1973). Meaning and style, , Oxford .

* * *